1014
Harlequin
سلسلة قصص و روايات عبير
دار النحاس

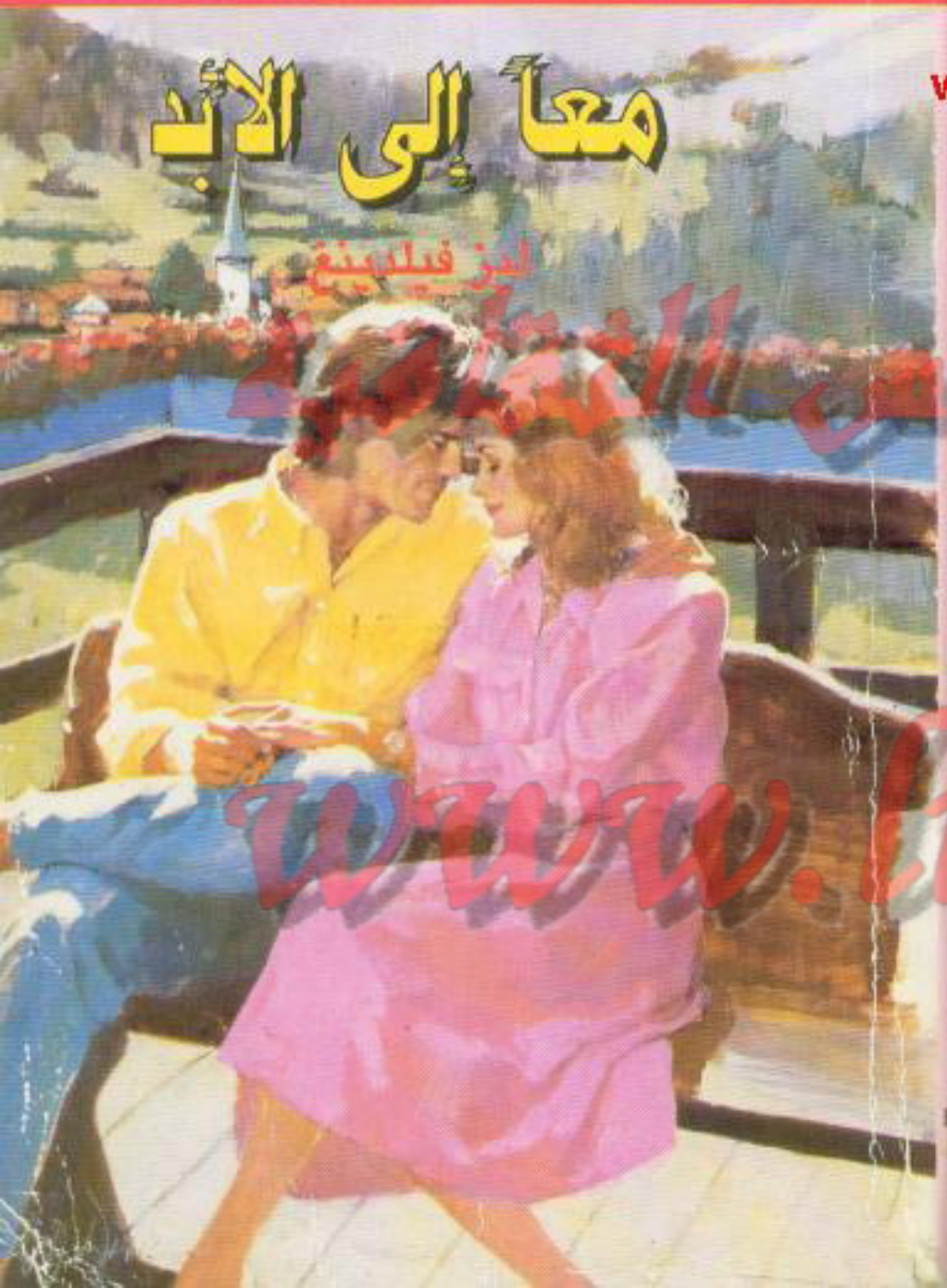

ريما www.liilas.com

روايات عبير

معاً ألى الأبد

ليز فيلدينغ

مكتبة ليلاس الإلكترونية
www.liilas.com

كم هو مهين ذلك ! لقد طلب من جورجيت أن تعمل لدى أكثر الرجال تعصباً لجنسه، لوكاس... وقد تقابلا قبل ذلك... في ظروف سيئة! أقلها، أنها امطرته بوابل من الطحين. وبالطبع لم يكن راضياً عن ذلك... يجب عليها الآن أن تكون لطيفة معه. سيحتاج هذا إلى كل قدرة جورجيت على التمثيل... وهي ليست بالممثلة.

ريما www.liilas.com

تاوه: «شيء ما يتحرك.»

«لوكاس...» علا أنينها ثم ترنحت فجأة، عندما اهتزت الخيمة وتمايلت ركائزها. انهارت وتحولت إلى ركام، وكادت الدعامة أن تسقط عليهما، ووجدت جورجيت نفسها تنظر إلى وجه لوكاس المصقوع.

«هل هذا ما يعنون، عندما يقولون إن الأرض قد اهتزت؟»

ريما www.liilas.com

الفصل الأول

شعرت جورجيت باينبريدج بأن حلقها قد جفّ عند سماعها اقتراح والدها. «لوكاس؟ تريدني أن أعمل عند لوكاس!»

يبدو أن هذا النهار الذي بدأ سيئاً تحول فجأة إلى مأساوي. «لا، لا يمكن أن تعني هذا! إن هذا مستحيل.» ولكن بمجرد النظر إلى وجهه تبينت أنه عنى كلامه.

رمى السيد تشارلز باينبريدج جريدة الصباح من فوق مكتبه باتجاه ابنته الصغرى التي وقفت أمامه وهي قابضة اليدين وتعابيرها تدل على الرفض والتذمر. «لقد سئمت هذا الهراء وتعبت من أفعالك الصبيانية. آن الآوان لكي تقلعي عن ازعاج الآخرين. لا تجعلي مني أحمق.» لم يحتاج جورج للنظر إلى صحيفة الصباح. فقد كانت ما تزال تحمل في ذاكرتها تفاصيل حيّة عن الحادثة وما تزال تشعر تقريباً بأثر قبضات رجل الشرطة الذي اعتقلها في الطريق ورماها في الشاحنة. وكم كانت تؤلمها تلك الرضوض في ضلوعها التي سببها لها المشاغبون والخارجون على القانون. ضرب والدها الجريدة بغضب وقال: «لقد نفد صبري معك.»

«نفد صبرك...» تمتمت بغضب: «هل لديك أية فكرة... أية فكرة... وأنت هنا في...» وحملقت في المكتب الفاخر.

«... البرج العاجي...» وأزاحت عنها نظراته المليئة بالتعجب والغضب. «هل لديك فكرة عمّا يحدث هناك في الأسفل؟» ثم أشارت بحزن نحو النافذة.

www.liilas.com ريما

قال والدها بصوت أجش: «لدي الكثير من المعلومات، وأكثر مما لديك بالطبع عمّا يجري في هذا العالم.» ثم أضاف بتحدٍ: «أخبريني، ماذا تحقق هذه التظاهرات التي تشاركين فيها؟ هل وجدت مأوى لطفل مشرّد؟ حسب معلوماتك، هل أنقذتِ صوتاً واحداً؟ هل وجدت مأوى لعائلة منكوبة؟»

«أجل...»

«إذا استثنيت هذا الحشد من الناس الذي تستخدمينه في منزلك!» وحاولت جورج أن تفتح فمها للتعترض، إلا أنها آثرت أن تبقيه مقفلاً. فقد أدركت أن المشاجرة مع أبيها لن تحل مشكلتها الملحّة الآن. يجب أن تقنعه بأنها لا يمكنها أن تذهب وتعمل مع رجل مثل لوكاس. لكن لسوء الحظ لم تحظ بالفرصة. «حسناً؟ لا جواب لديك؟ ليس من عادتك أن تفقدي الكلام، يا جورج.»

اهتزت جورج لهذا الهجوم وتعبت من الليلة التي أمضتها في زنزانات الشرطة. فجلست متعبة على كرسي أمام مكتب أبيها ونظرت إلى العنوان الرئيسي في الجريدة: إبنة مليونير تعتقل في تظاهرة.

تنهدت جورج بحسرة. لقد كانت مسيرة سلمية حتى ظهرت مجموعة من الحمقى المشاغبين الذين بدأوا بالتعدي والشتم وكيل الإهانات. وكانت جورج تصور ما يحدث عندما أخذوا منها آلة التصوير وحطموها. إن رؤية هذا الحدث جعلتها تنفجر بغضب أعمى. كل ذلك لم يكن عدلاً.

قالت وقد اعتراها شعور غير اعتيادي من الشفقة على نفسها: «لقد حطموا لي آلة التصوير.»

«آمل أن تكون مكفولة ببوليصة تأمين.» هذا التعليق الساخر جعلها تتوقف للحظة. فهي لم تتوقع أن يكون متعاطفاً معها ولكنه لم يكن أبداً ليغضب هكذا. لقد كان يتسلى

وهو يراها تركض وتلاحق القضايا، الواحدة تلو الأخرى.

حاولت استدرار عطفه فقالت: «ليست القصة على هذا النحو، يا أبي. هؤلاء الحمقى شتتوا مسيرة سلمية ليس لسبب، إلا لرغبتهم في المضايقة والتخريب...»

«هذا يكفي!» لقد أثارت غضب والدها كثيراً. ومن الواضح أنه لن يرضى هذه المرة بأن تقنعه بالكلام المعسول، لهذا فضّلت الصمت. فتابع قائلاً: «شكراً يا جورجيت.»

انزوت جورج لأنه عندما يناديها والدها باسمها كاملاً، فهذا يعني بأنها وقعت في ورطة كبيرة. «أنا آسفة.»

إن الابتسامة التي ارتسمت على شفتي والدها جعلتها تستفيق من كبوتها. «بالطبع أنت آسفة. أنت دائماً متأسفين يا جورج.» عندما وقف والدها ومشى عبر المكتب الفاخر باتجاه النافذة الواسعة التي تطل على النهر، لاحظ أنّ هناك بعض الحقيقة في اتهامات جورج بأن مكتبه يشبه برجاً عاجياً، ولكنه لم يكن يوماً غير مهتم كما تظن هي. حاول أن يتكلم معها بقسوة، لذلك وقف مواجهاً لها منتصباً. «لم أعد قادراً أن أحصي عدد المرات التي قلت لي فيها إنكِ آسفة. لقد كنت آسفة عندما طُردتِ من المدرسة الداخلية. لماذا حدث ذلك؟»

ذكّرته قائلة: «القطط الصغيرة، كاد البستاني أن يغرقها.»

كان صوته مثقلاً بالسخرية عندما أجاب: «آه، طبعاً القطط. كيف لي أن أنسى القطط؟ لقد قدمت احتجاجاً. وعلّقت منشوراً على بوابة المدرسة وحرّضت أصدقاءك على التظاهر. إنها لقوة تنظيمية هائلة لفتاة في الثالثة عشرة من عمرها.» ثم هز رأسه وتابع قائلاً: «يا لها من خسارة،

www.liilas.com ريما

لقد كان في استطاعتك أن تكوني الآن رائدة في الصناعة.»

شعرت جورجيت بأن كرامتها قد جرحت وقالت: «لم يكن من داع لأغراق هذه المخلوقات الصغيرة المسكينة. وإذا كانوا لا يرغبون في أن تنجب هررة، كان بامكانهم إعطاؤها حقنة لمنعها من الانجاب. على كل حال، كان من الممكن أن تمر من دون أية ضجة لولا أن هيثر جايمس اتصلت بصحيفة «الصن.»

«أول ظهورك في عنوان رئيسي، أخبريني هل تحتفظين بدفتر مذكرات؟» واعتقدت جورج أنها لمحت ابتسامة خفية ترتسم على شفتي والدها.

هزت رأسها وقالت: «كلا.»

«يا للشفقة، كانت بلا شك ستكون رواية مثيرة.» وصمت قليلاً وعقد حاجبيه ثم أردف: «لو لم أكن والدك.» ظلت جورج صامتة وهي تتمنى أن ينهي كلامه القاسي لكنه لم يفعل. «لقد كنت حزينة وآسفة عندما طُردت من مدرسة الفنون، وأنا أيضاً كنت في غاية الأسف، كان يجب أن يمنحوك فرصة لكي تنهي امتحانات الفصل الأخير وتأخذي الشهادة.»

قالت مدافعة: «لقد أنهيت الفصل كله. الإمتحانات هي شكل قديم للتقييم.»

«ربما. فأنت لديك موهبة عظيمة، يا جورج، ولكنك لو حصلت على الشهادة «القديمة» لكان بامكانك تطويرها بدلاً من إضاعة وقتك مع مجموعة من...»

«أرجوك... لا تتكلم عن أصدقائي.» دافعت عنهم بحرارة.

«م م م. حسناً، ليسوا هم السبب في هذه المناقشة.» صمت قليلاً ثم أردف: «هل لديك أدنى فكرة بأن منزلك الصغير في بادينغتون يكلف تقريباً مثلما يكلف قصر أوديني؟»

تململت جورج، إن قصر العائلة يحتوي على عشرين غرفة وفيه خمسة مستخدمين، فقالت مدافعة: «أنا أطعم عدداً كبيراً من الأشخاص.»

«تطعمينهم ماذا؟ السمك المشوي؟» وفجأة ضغط بكلتا يديه على طاولته مما جعلها تقفز عن كرسيها وتابع قائلاً: «أنت الآن في الثانية والعشرين، يا جورج، أصبحت في عمر مناسب كي تدركي أنك لا تستطيعين أن تعالجي جميع مشكلات هذا العالم.» ثم خفف من حدة لهجته، وبدا خجولاً لأنه انفجر غاضباً وقال: «أنا آسف، ولكنك لا تستطيعين. أما بالنسبة لآخر خطة لديك، تريدين أن تسحبي من حسابك المصرفي لكي تبني ملجأ للمشردين...»

حملقت به وسألته: «كيف علمت...» لكنها لم تكمل سؤالها وقالت ألا تعير الأمر اهتمامها. «أنا أفعل شيئاً يا أبي بينما أنت جالس في هذا المكتب الضخم تجني مزيداً من المال والثروة، هناك العديد من الأطفال الذين يتسولون في الطرق!»

قال متنهداً: «هناك الكثير من الأخطاء في هذا العالم، يا جورج ولكن لا تستطيعين أن تبدلي هذا الكون وتتغلبي على النظام بهذه الطريقة!» ثم لوّح بيده نحو الصحيفة الموجودة على طاولة المكتب بينه وبينها. وأضاف: «ألا ينتابك الخجل؟ بالله عليك، لقد كان من المؤسف أن تعتقلي، ولكن لِمَ لم تتصلي بالهاتف؟ لم يكن من الضروري أن تمضي ليلتك في السجن.»

«هل كنت ستدفع كفالة الآخرين؟» لم يجب والدها، ثم هزت كتفيها وتابعت: «لا أعتقد هذا.» كانت جورج تشعر بالتعب والارهاق. وقفت وسارت باتجاه والدها وأمسكت بيديه وقالت: «هيا، يا أبي. ليس الأمر بهذا السوء.» وابتسمت

www.liilas.com ريما

ابتسامتها الساحرة التي تساعدها في الحصول على ما تريد. ولكن نظرات والدها القاسية قابلتها بالرفض وعدم التجاوب.

«لا أحد يملك ما تملكين، يا جورج، فبعض الناس يذهبون إلى أعمالهم يومياً شاءوا أم أبوا، ليس لديهم خيار.» التقت نظراته بمظهرها المنزعج ثم هز رأسه. «لماذا لا تتصرفين كأخواتك؟»

تأففت جورج: «أأحيك الصوف وأنجب أطفالاً وأربي كلاباً؟» رفعت يديها وهي تدافع هازئة بعد ما لمحت تعابير وجهه ثم تابعت: «أعلم، أعلم، أنا لا أقدرك أبداً. وكم أنا محظوظة...»

«حسناً، وربما يجب أن تعلمي. فقد أوقفت بطاقات الاعتماد خاصتك منذ اليوم. وكذلك حسابك المصرفي.»

مرّت لحظة من السكون التام. عقدت جورج حاجبيها وهي تحاول أن تستوعب ما أخبرها والدها فقالت: «كيف يمكنك؟» هزت رأسها. «لا يمكنك أن تفعل...» ثم رفعت خصلات طويلة من شعرها بعد أن كانت متدلية على وجهها.

«لقد اعتبرت بأنك من الآن وصاعداً...» ثم توقف لبرهة، كما يبدو ليختار كلماته. «بأنك لست إنسانة مسؤولة وموضع ثقة. أنا آمل أن يكون ذلك تدبيراً مؤقتاً.»

«لا تستطيع أن تفعل هذا!» ولكن تعابير وجه والدها دلّت على الجدّية، عندها تحوّل سخطها إلى قلق واهتمام. «عليّ دفع الفواتير، وبعض المسؤوليات...»

«الفواتير ستدفع عن طريقي.» ثم نظر إليها. «أما مسؤولياتك فسيسكنون في منزلك مجاناً، ولكن من الآن وصاعداً عليهم أن يؤمنوا طعامهم.» وفتح السيد تشارلز ملفاً

أمامه. «أنت محظوظة أكثر من الكثير من الناس، لقد دبّرت لك عملاً.» ثم نظر إليها. «ستعملين مؤقتاً كمساعدة للوكاس في مواقع التصوير، لكن الفقراء لا يمكنهم أن يختاروا. ربما ستتعلمين في افريقيا معنى العمل بدلاً من أن تعيشي على نفقة الدولة.»

جلست جورج مقابل والدها وحاولت أن تتظاهر بأنها تستمع على الأقل، بينما كان عليها التفكير بيأس بطريقة للخروج من هذا المأزق. شيءٌ واحدٌ كان أكيداً، هو أنه من المستحيل العمل مع لوكاس.

«الآن، يا جورج.» حاول أبوها أن يسترعي انتباهها. انتبهت بأن والدها غيّر من لهجته وها هو يخاطبها بلهجة هادئة يستعملها مع كلابه المدللة عندما تتشاكس. «طائرتك تغادر هذه الليلة. لقد حجزت لك غرفة في فندق نورفولك في نيروبي...»

«نيروبي؟» وكاد قلبها أن يتوقف عن الخفقان من شدة الإثارة.

«سوف يستقبلك السيد لوكاس حالما يستطيع.» مجرد ذكر اسمه أعادها إلى الواقع ثانية. وهزت رأسها.

«لا، هذا غير معقول، يا أبي، ليس لوكاس، لا أستطيع أن أعمل معه.»

«لا أظن أنك تملكين الحق بأن تختاري، يا جورج.» ونظر بدهشة وقال: «لماذا كل هذه الاعتراضات، وكأنك قابلت هذا الرجل المحترم من قبل؟»

«محترم!» هذا آخر ما يمكن أن تصفه به، بالطبع هي قابلته. ويا لها من مقابلة لا يمكن لها أن تنساها برغم أنها حاولت من

www.liilas.com

كل قلبها أن تنساها. ومجدداً حاولت أن ترمي بنفسها على شفقة والدها وقالت: «أرجوك لا تفعل هذا بي، لا أستطيع أن أذهب! هو...»

«أجل؟» انتظر السيد تشارلز.

أخذت نفساً عميقاً. «لقد رميت عليه كيساً من الطحين عندما كان عضواً في لجنة انتخاب ملكة جمال العالم.»

ضحك والدها ضحكة نابعة من القلب وأجاب بسرعة: «أنا لا أذكر أنني أخرجتك من هذا المأزق، كالعادة.»

«لأنه لم يرفع شكوى ضدي.» ورفضت أن تنظر في عيني والدها. لقد تعامل لوكاس معها بشكل شخصي، شخصي جداً.

نظر السيد تشارلز باينبريدج باهتمام نحو ابنته وأضاف: «إذن من الأفضل لك أن تأملي بأنه قد نسي الحادثة.»

لقد تذكرت وهي متأكدة بأنه سيتذكر جيداً. لذا أحست بموجة ساخنة من الاذلال تختبئ خلف جفنيها. لماذا لم يمكنه أن يعي بأن هذا مستحيل؟ وقالت: «إنه رجل مخيف. في الحقيقة لن أذهب. فأنا أرفض هذا في المطلق.»

«بصرف النظر عن رأيك بالرجل، فهو مصور محترف، وأنا متأكد أنك ستتعلمين الكثير منه.» وقف والدها ودار حول المكتب واتكأ إلى الطاولة ثم أضاف: «هذا العمل سيكون له الفضل في دفع أعمالك نحو الأفضل. اذهبي بإرادتك، يا جورج. وعندما تعودين، إذا نجحت... سأكون جاهزاً لأساعدك في خططك لبناء الملجأ.»

«لماذا؟» قالت مقاطعة: «لماذا الآن؟»

تأمل تشارلز باينبريدج ابنته المفضلة، إنها تشبه والدتها كثيراً في حسها العالي بالعدالة. فتنهد وقال: «أنت بحاجة إلى

رؤية محددة، أنت تتأرجحين هنا وهناك، وتلاحقين كل قضية تؤثر على عواطفك وحياتك.» ثم ابتسم وتابع: «لديك قلب طيب، أنا لا أنكر هذا، لكنك تضيعين نفسك. وتهدرين طاقاتك في اتجاهات عديدة، وفي وقت واحد.»

رأت جورج بصيص أمل يلمع في عينيه فحاولت أن تستغله قائلة: «يمكنني أن أبدأ في الحال، وإذا ساعدتني سأبقى بعيدة عن مسيرات الاحتجاج. أعدك بذلك.» وابتسمت برضى.

«جورج!» أسندت ظهرها إلى الكرسي مجدداً وهي تهز كتفيها باستهجان وتململ. كانت محاولة جيدة ولكن والدها أكمل حديثه: «أريدك أن تسدي لي خدمة شخصية، شيئاً أنت تجيدينه. حاولي، وفكري بي كأي قضية من قضاياك المهمة، هذا ممكن أن يساعد.» هو أيضاً يمتلك ابتسامة خاصة لمساعدته في التوصل إلى مبتغاه. «إنه بالتأكيد ليس بالطلب الكبير مقابل هذا.» أشار باتجاه الصحيفة: «فقط اعملي بنشاط عند لوكاس.» حاول أن يحوّل أوامره إلى مزاح: «أو من الممكن أنه سيرفض أن يعمل لي ثانية، وهذا سيغضبني كثيراً في الحقيقة.» ثم حمل ملفاً يحتوي على بطاقة سفرها. «هناك بعضٌ من الشيكات السياحية مرفقة ببطاقة السفر، مصروف الجيب، هذا كل شيء.»

تجاهلت الملف وقالت: «وإذا رفضت أن أذهب؟»

تنمر والدها، وزالت الابتسامة: «من الأفضل أن تأملي بأن يكون أصدقاؤك على القدر نفسه من الكرم معك كما كنتِ معهم.»

«بدأت أفهم، ستتركني من دون مال. آه. حسناً. أنا أعتقد بأنه يمكنني اقتراض المال.»

وامتلأت عيناه غيظاً ونظر إليها غاضباً وقال:

www.liilas.com

«هل تظنين بأن أحداً سيقرضك المال مقابل لا شيء؟»

عاندته جورج للحظة طويلة، ثم رضخت للأمر الواقع بعد أن رأت في نظراته اصراراً وتصميماً وقالت: «وهل ستساعدني حقاً ببناء الملجأ؟»

«أعدك بذلك.» قال لها مؤكداً. تنهدت بعمق. إن دعم والدها لها يعني الفرق بين النجاح والفشل... هذا الاعتبار أهم بكثير من الحادث المخجل الذي تعرضت له مع لوكاس. «من الأفضل لي أن أذهب إذاً.» استلمت من والدها الملف واستدارت ثم حملت محفظتها الجلدية ووضعتها بقوة على كتفها، وسارت بخطئ سريعة نحو الباب حيث توقفت ومن ثم استدارت وقالت: «أنا آسفة جداً على كل هذا. حقيقة.» وأشارت باصبعها إلى الصحيفة. ابتسم قائلاً: «أسعدني لوكاس، فأنت متسامحة. لحظاً سعيداً.»

لدي شعور قوي بأنني سأكون بأمس الحاجة إليه، أحست جورج وهي تغلق الباب، ولكن إسعاده لن يكون بالشيء السهل.

ناولتها سكرتيرة والدها فنجاناً من القهوة قائلة: «يجب أن تأخذي هذه الحبوب للوقاية من الملاريا، كان يجب أن تأخذيها منذ أسبوعين ولكن اتبعي الإرشادات المسجلة على علبة الدواء.»

«شكراً، بيشوب. ولكن ليس البعوض ما يقلقني.»

ضحكت الآنسة بيشوب وقالت: «يجب ألا تقلقي من لوكاس، يا جورج، فهو جذاب جداً، ليس أبداً كما يكتب عنه في الصحف.»

«حقيقة؟» رفعت جورج حاجبيها وأضافت: «كنت أعتقد أن سحره هو ما تركز عليه الصحف.»

قالت الآنسة بيشوب مدافعة: «أنت تعلمين أنه ليس من

الممكن أن تصدقي كل ما يكتب في الصحف.» ورأت تعابير جورج المندهشة فاحمرت خجلاً. «حسناً، ليس كل شيء. عندما أرسل لوكاس برقية هذا الصباح يسأل عن بديل لمايكل، قلت للسيد تشارلز بأن هذا هو الشيء المناسب...» هنا انتبهت لما تقول وفجأة أخفضت صوتها بعد أن فضحت أمرها.

«أنت اقترحت هذا؟ بيشوب، كنت أظنك صديقتي.» ثم أخذت علبة الدواء وسألت: «لماذا هو بحاجة إلى بديل؟»

«لم يعطني تفاصيل دقيقة. ولكن الشاب الذي يعمل معه هو الآن في المستشفى. لقد اشتريت لك بعض المستحضرات لتحميك من أشعة الشمس ولسعات الحشرات، لأنني أعلم بأنه لن يكون لديك الوقت لتشتريها بنفسك. هل هناك شيء آخر أستطيع أن أجلبه لك؟»

ابتسمت جورج قائلة: «أجل، آلة تصوير جديدة، هؤلاء الوحوش حطموا التي البارحة.»

نظرت السكرتيرة وبدت مشككة. «أنا غير متأكدة إن كان مسموحاً لي... كان والدك مصرّاً كثيراً...»

«لكن آلتي للتصوير مكفولة ببوليصة تأمين ويمكنك أن تسترجعي التأمين بآلة تصوير جديدة، أليس كذلك؟ عزيزتي بيشوب؟ أرجوك؟ أنا لا أستطيع أن أذهب إلى افريقيا من دون آلة تصوير.»

رقَّ قلب الآنسة بيشوب وقالت: «لا، لا أعتقد. ولو كانت مكفولة فأنا لن أقرضك مالاً، أليس كذلك؟» بعد أن اقتنعت بضرورة مساعدتها، أعطتها ورقة وقالت: «اكتبي لي ماذا تريدين. يمكن لهنري أن يجلبها لك ويسلمك إياها وثم يوصلك إلى المطار هذه الليلة.»

www.liilas.com

«باركك الله. أنا بحاجة لبعض الأفلام، أيضاً.» وفوجئت الآنسة بيشوب عندما ضمتها إليها بحرارة. «إليك ما أريد، بعض الثياب والدفاتر والأقلام.»

تنهدت الآنسة بيشوب قائلة: «حسناً سأرسلها لك مع هنري، فهو ينتظرك ليقلّك إلى البيت الآن.»

أجابتها جورج مازحة: «يا لك من امرأة قاسية!»

حين وصلت إلى البيت... المنزل الصغير الذي يقع في الشارع الخلفي، قرب محطة بادينغتون الذي ابتاعته منذ أشهر قليلة... شعرت جورج بالارهاق والتعب. وكانت الفوضى تعم المنزل الذي يغص بالأشخاص الذين تعرّفت إليهم خلال حجزهم في مركز الشرطة. أكلوا وتركوا الفضلات في جميع أنحاء المطبخ. سارت باتجاه الثلاجة وكما توقعت وجدتها فارغة تماماً فقط زجاجة حليب فارغة. وهنا تعجبت في ما إذا كل واحد منهم قد غسل صحنه مرة واحدة في حياته. هل فكّروا بالإنسان الذي قدّم الطعام لهم. تنهدت يائسة. لو كانت تعيش في بنايات مخرّبة ومهددة بالهدم، أو في صندوق من الكرتون، من المحتمل أن لا يكون غسل الصحون من أولويات نشاطاتها اليومية أيضاً.

كانت تعبة جداً، لقد أمضوا الليل ينشدون شعارات الاحتجاج. ولكن لا يوجد لديها وقت للنوم الآن. سوف تقوم بذلك فور صعودها إلى الطائرة.

فتحت جورج باب غرفة نومها بالمفتاح. لم تكن أبداً سانجة إلى الدرجة التي يعتقدها والدها، فكرت بحزن. إن غرفتها هي آخر ملجأ لها. غير منتهكة، غير مفسدة، غير ملموسة ولم تصلها أبداً الفوضى التي حدثت لباقي المنزل.

حملقت مذعورة عندما رأت انعكاس صورتها في مرآة الحمام. تعرّت بسرعة وبدأت تستحم. كان رشاش الماء قوياً ومنعشاً، وبعدما انتهت، لفّت شعرها بمنشفة وغطّت جسدها بمنشفة أخرى أكبر وخرجت لتتفقد خزانة ملابسها وهي تتساءل أياً منها سيكون مناسباً للعمل اسبوعين في بميمبمرقي افريقيا.

وقعت يدها على تنورتها التي ارتدتها أثناء التظاهرة ضد مباراة الجمال. دخلت هي وصديقاتها إلى الحفلة ببطاقات، مدّعيات بأنهن ينتمين إلى تلك الأجواء. لقد قررن أن يبدون كالعارضات لكي يلفتن الانتباه. عملت جورج كل ما في وسعها لكي تبدو بغاية السحر والجمال، وتمتعت بهذا الدور في سرها، لقد ارتدت تنورة قصيرة من الجلد الأسود وقميصاً من الحرير العاجي اللون وانتعلت حذاء من الجلد الأسود أيضاً يعلو إلى ركبتيها، كانت قد اشترتها خصيصاً لهذه المناسبة. وبعد، ولأنها كانت تحب أن تكون في غاية الأناقة، حتى وهي ذاهبة للتظاهر، زارت صالون التزيين على غير عادتها، وخرجت وشعرها الطويل يبدو كشلال من الذهب يتدلى فوق كتفيها. وأما اللمسات الأخيرة فكانت التبرج والماكياج. قالت للعاملة برقة: «أريد أن أبدو مثيرة جداً.» ثم أصابتها الدهشة عندما نظرت إلى الوجه الذي انعكس في المرآة. فقد بدت عيناها مثيرتين وبضعف حجمهما الطبيعي وبدا فمها الممتلىء أوسع مما تذكره.

كانت شامخة الرأس فجذبت كل الانتباه عند وصولها إلى قاعة البرت، لقد أجادت استغلال مفاتنها إلى أقصى الحدود. ثم جلس لوكاس بين أعضاء اللجنة التحكيمية وبدأ يتفحص

www.liilas.com

الجمهور. كانت جالسة في الصف الأمامي، تخبىء كيس الطحين داخل حقيبتها الجلدية السوداء.

تسمرت عيناه عليها كتقدير لموهبتها الفاتنة، كما بدأ يتفحص تفاصيل مظهرها تدريجياً وببطء متعمد من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، مما جعلها تحمر خجلاً. تلك النظرات الحالمة التي رمقها بها، جعلتها تختاره الهدف الخاص لهذه الليلة. لو لم يكن جذاباً جداً كان من الممكن أن تغض طرفها عنه. ولكنها وجدت عينيها منجذبتين باستمرار إليه. آملة وخائفة في آن معاً من أن ينظر باتجاهها ثانية. ولكنه بالطبع نظر ونظر.

كان من الضروري أن تبقى جالسة في مكانها خلال الجولات الأولى من المباراة. بينما كانت المتباريات يعرضن أزياءهن الوطنية وفساتين السهرة. أعطاها لوكاس انتباهاً أكثر من الفتيات المتباريات. كانت تفكر بأنه سيدعوها للخروج معه لو ابتسم لها، ولكنه لم يفعل. بل بقي محملقاً بها. حسناً، سوف ترى. وخلال فترة انتظار النتيجة، وحين أوقف التلفزيون التصوير هجمت جورجيت ورفيقاتها بأكياس الطحين والرماد.

لكن لوكاس لم يكن ضحية سهلة. لقد أمسك بيديه قميصها الحريري وتعلق به جيداً على الرغم من مقاومتها الشرسة فتقطعت أزراره وخلع عنها. وبدلاً من أن تترك قميصها وتهرب حاولت أن تنتزعه من بين يديه. ولما كانت تحاول أن تغطي نفسها أعطته فرصة ثانية، لم يضيعها. بحركة واحدة رشيقة وضع يده حول خصرها وجذبها نحوه وانهال ضرباً على مؤخرتها بحماس ملموس. عندئذٍ وبينما تم اعتقال الأخرين

خلال عاصفة الجحيم، خالف لوكاس القانون عندما أخذها خلف الكواليس.

كان شعره ملبداً بالطحين الذي رمته عليه وعندما هزّ رأسه، تصاعد الطحين في غيمة ثم تناثر فوقهما، لكن انتصارها لم يدم طويلاً.

«هل ستنصرفين فوراً، أم تريدين المزيد؟» قال لها مطالباً، حينما كان يسلمها قميصها، لقد نازعت لترتديه. لفته حول جسمها وقالت: «لماذا لم تدعني أعتقل مع الباقيات؟»

تأججت عيناه مثل الجمر. «لأنه، أيتها الآنسة المتحررة، أفضل دائماً أن أحل مشكلاتي بيدي وأنا لم أسحبك خارجاً لكي أنقذك. وأما إذا كنت تريدين دعاية مجانية، كان عليك أن ترمي طحينك على انسان غيري. الآن، أنا ذاهب لكي أغتسل. ومن هنا الطريق إلى الخارج.» قال لها مشيراً نحو مخرج. ارتجفت من شدة الغضب واليأس، رفعت كفها لكي تصفعه.

«سيد لوكاس، سيدي، هل هي إحدى اللواتي سببن الشغب؟» وظهر رجل أمن من خلفها واستدارت باتجاهه، ولكن لوكاس استدرك نيتها في تسليم نفسها فكان أسرع منها. التفت ساعداه حول خصرها وقبل أن تعترض شدها نحوه وأمسك بها من دون جهد.

«لا. إنها صديقة. إنها مغادرة الآن. ربما يمكنك أن ترافقها بأمان إلى الباب الخلفي؟ تحسباً لأن يكون هناك المزيد من المشاغبين.» وقاومت بصعوبة لتحرر نفسها من بين يديه لكن لوكاس لم تكن لديه النية ليتركها بسهولة. وبدلاً من ذلك، انحنى عليها بخفة، غير متوقعة ما سيحصل، أغمضت عينيها، متأملة بيأس بأن ما تراه لا يحصل. وما أن عانقها

www.liilas.com

حتى تحطم ذلك الوهم. إنها الحقيقة تنتقم. لم يستطع أحد من قبل أن يؤثر عليها بعناق كهذا، أو أن يحول عظامها إلى حطام. وأخيراً عندما انتهى من عناقها، كانت مهتزة كثيراً لكي تعترض على معاملته الحسنة. وما كادت تتنهد. حملق بها للحظة، بعينيه الرماديتين الذابلتين تحت رموش طويلة جداً. تمتم أخيراً وهو يطلق سراحها: «يوجد أمل لك بعد. خذي، من الأفضل أن تأخذي هذا.» وضع سترته حول كتفيها ثم قال بصوت عال ليسمعه رجل الأمن: «سأراك لاحقاً.» قبل أن يختفي داخل غرفة تبديل الملابس قال: «ابقي الفراش دافئاً، يا حبيبتي.» وكان عليها أن تواجه ابتسامة رجل الأمن الماكرة طوال الطريق حتى الخروج.

لمست جورج شفتيها من دون انتباه وهي تتذكر. ليس هناك أي سبب يجعلها تعتقد بأنه من بين المئات من النساء اللواتي مررن أمام عدساته، سوف يتذكرها هي. ولكن يمكن أن تكون فكرة حسنة بأن تخدع نفسها قليلاً. لا شيء واضحاً. ولكن هناك شيء واحد أكيد... فهي لن تأخذ معها تنورتها الجلدية.

ارتفع حاجبا هنري قليلاً، عندما فتحت له الباب بعد أن دقّ الجرس وكادت جورج أن تضحك وتوسلت إليه: «لا تفعل هذا، يا هنري، أرجوك.»

«لقد فاجأتني، يا آنستي. لقد ظننت للحظة بأنني أخطأت المنزل. لا أتذكر أنني قد رأيتك في يوم من الأيام ترتدين بدلة.»

«إنها غير مريحة أيضاً.»

حمل هنري حقيبتها، وسار أمامها إلى السيارة ثم قال: «سوف أراقب المنزل طوال سفرك، هل أستطيع؟»

«بعض من أصدقائي سوف يبقون لبعض الوقت.» رأت بعض الشك في عينيه. «إنهم ليسوا سيئين كما يبدون، حقيقة. ولكنني تركت بعض الأشياء للأنسة بيشوب في المدخل، سوف أكون ممتنة كثيراً إذا أخذتها لها غداً. هل أعلمتك بيشوب عن آلة التصوير؟» سألته وهي تحاول أن تغير الموضوع.

«إنها في صندوق السيارة. أما الفواتير فموجودة في مغلف، لكي تقدميها للجمارك.»

«جامبو، ميمساهب. ألديك أي شيء لتعرفني عنه؟» نظرت جورج إلى الوجه المبتسم ثم هزّت رأسها لتركز. لقد نامت طوال الليل في الطائرة. بينما كانت تحلق فوق أوروبا ونصف أفريقيا. لقد ضيّعت على نفسها المنظر الخلاب لشروق الشمس فوق السودان وتركت أكياس الورق مغلقة كما أشترتها من المطار. لقد استيقظت على رائحة القهوة الذكية والفطائر. وتمنت لو أنها ارتدت سروال الجينز مع قميص الرياضة بدلاً من بدلتها.

انتهت بسرعة من الجمارك ومعاملاتها، وحالما أصبحت جورج داخل سيارة الأجرة من نوع بيجو مزينة بخطوط حمراء وذهبية. لم تستطع أن تلمح سوى القليل من النباتات والتلال البعيدة قبل أن تصل إلى داخل المدينة. قاد السائق السيارة بسرعة سالكاً بها طريقاً من خطين محاطة بالأشجار والمتنزهات، وقد وزعت عليها الأحواض المليئة بالمنحوتات والنباتات.

حال وصولها إلى فندق نورفولك استقبلتها مجموعة من الحمالين. بالترحاب. «جامبو ميمساهب.»

www.liilas.com

أجابت جورج: «جامبو.» وبسرعة حاولت أن تقلد لهجتهم في إلقاء التحية وقوبلت بابتسامة لامعة.

رحبت بها موظفة الإستقبال وقالت: «لقد حجزت لك أحد الأكواخ، يا آنسة باينبريدج، تماماً. مقابل مكتب الإستعلامات ومواجهة للحديقة. وأرجوك أن تملأي هذا الطلب.»

«بالطبع، وهل أنا في الوقت المناسب لتناول الفطور؟»

عندها نظرت الموظفة إلى ساعتها وقالت: «آه، أجل، لديك ساعة.»

«عظيم. أكاد أموت من الجوع.» وقعت على البطاقة، وسلمتها للموظفة.

«لقد أصبحت حقائبك في غرفتك، رقم ثلاثة، وهذا هو المفتاح.»

تناولت جورج حقيبة يدها عن الطاولة واستدارت لكي تذهب. عندها، ارتجفت فجأة ووقفت.

القامة الطويلة بدت وكأنها قد ملأت فضاء الباب. والعينان الرماديتان الحالمتان رمقتا غرفة الإستقبال. توجه لوكاس مباشرة، وبسرعة متجاهلاً موظفي الطيران وكذلك السياح الأمريكان المتشوقين للذهاب في رحلة السفاري، نحو طاولة الإستقبال غير منتبه إلى الذي يلاحق خطواته عبر الغرفة.

راقبت جورج خطواته بكل اهتمام، ثم تذكرت جيداً كم هو مغرور وواثق من نفسه مما جعل قلبها يخفق من شدة الإثارة.

بكل سخف تمنت لو كان لديها الوقت لترتب نفسها قليلاً، فقد كان شعرها غير منتظم، ولعنت نفسها لأنها ارتدت هذه البدلة السخيفة. ولكنها أمسكت نظارتها العادية الداكنة من محفظتها ووضعتها على عينيها كتدبير احترازي كي لا يتعرف إليها.

«أنا أبحث عن جورج باينبريدج. كان من المتوقع أن يصل هذا الصباح، هل من الممكن أن تطلبوه لي، من فضلك؟» حدّقت الموظفة، ومن ثم قهقهت.

كان لوكاس مؤدباً ما فيه الكفاية، لكنه قطب حاجبيه غاضباً، وتكلم ببطء وحذر، ظناً منه أنها بطيئة الفهم، أولا تتكلم الإنكليزية، حاول ثانية.

«أدعى لوكاس. وهو يتوقع وصولي.» نظرت الفتاة باتجاه جورج وانهارت في ضحكات صامتة، وحاولت إخفاء ابتسامتها الواسعة خلف أصابع بنية اللون، طويلة. استدار ليبحث أين تنظر لكن جورج لم تعد تستطع أن تؤجل لحظة اللقاء. وبثبات حاولت أن تخمد القشعريرة التي انتابتها وتقدمت إلى الأمام.

«أنا أظن بأنك تبحث عني، يا سيد لوكاس، أنا جورجيت باينبريدج.» قالت ببرودة. ومدت يدها بثقة لم تكن تشعر بها، ومتأكدة بأنه لن يلاحظ الخوف الذي غزا جسدها كله فجأة.

حملق بها لفترة طويلة. تحركت وهي منزعجة من نظراته القاسية التي بدت لا تصدق ما ترى. «الجميع ينادونني جورج.» وخرج صوتها متردداً، ثم أنزلت يدها. فكان من المؤكد بأن لا مزاج لديه ليمسكها.

جالت نظراته عليها ببطء من حذائها الأسود، مروراً ببدلتها الرمادية. والوشاح الأبيض الحريري الذي عقدته حول عنقها من قبل، وإلى تلك النظارة الكبيرة الداكنة التي كانت قد اشترتها حين أصابها التهاب في عينيها. لقد كانت تأمل بأن يراها هكذا، كامرأة أعمال. ولكن بعد أن نامت بثيابها لم يظهر عليها أنها توحي بهذه الصورة.

www.liilas.com

اعتادت جورج على نظرات الرجال المليئة بالشغف وقد حاول لوكاس ذلك مرة. لكنه لم يظهر أي اهتمام في هذه المناسبة، وأظهرت تصرفاته عدم الرضى وتمتم بصوت استطاعت أن تسمعه يقول: «آه، يا إلهي. ماذا فعلت لكي أعاقب بكل هذا؟».

امتعضت جورج وكادت أن تجيبه. فتحت فمها لكنها تذكّرت كلمات والدها: «ابقي السيد لوكاس سعيداً. وسوف أسامحك.» لن تسمح لهذا الرجل بأن يفسد مخططاتها، سيطرت على غضبها، أجبرت نفسها على الابتسام وقالت: «لقد وصلت لتوي. كنت ذاهبة لتناول الفطور، هل تشاركني، يا سيد لوكاس؟»

«لا تقولي سيد، فقط لوكاس.» رمقها بنظراته الحادة بتعمل. «إذا كنت مصممة بأن تأكلي، فدعينا إذاً ننتهي من ذلك.»

بعد أن أنهت موظفة الإستقبال ضحكتها، بدأت تراقبهما باهتمام بالغ، رمقها لوكاس بنظرة حادة مما جعلها تعود بسرعة إلى عملها.

استشاطت جورج غضباً باستقباله المزعج، لكنها أجبرت نفسها على البقاء هادئة فقالت: «حسناً، أنا جائعة. لماذا لا تدخل وتطلب الفطور لكلينا لكي نوفّر الوقت، بينما أنا أذهب لأغتسل.»

نظر إلى ساعته. «أرجوك بأن لا تتأخري يا جورجيت.»

ردّت جورج بثبات. «ليس جورجيت، جورج.» وحملت محفظتها ولم تستطع أن تقاوم موجة خفيفة من الحياء: «لن آخذ وقتاً طويلاً.»

كانت مكافأتها على هذا الاداء، ما سمعته وهو يتمتم بغضب: «ربي، أعطني القوة!»

تقلبت جورج، فيما هي تستحم، بين الغضب والرضى. كان واضحاً بأن لوكاس لا يحب النساء العاديات وغير الأنيقات. حسناً، هي لا تحبه أيضاً. ولكن تمضية أسبوعين في البرية، للتصوير في كينيا، تعني أنها سوف تتحمل المزيد منه. كان والدها على حق. يمكنه أن يعلمها الكثير. إذاً، ومع أن كلاهما لن يحب ذلك فقد فرض عليهما أن يبقيا معاً.

بينما كانت تعبث في حقيبتها لتجد شيئاً مناسباً ترتديه، كانت تتأسف على الوقت الذي أمضته وهي تكوي ثيابها. إنه لشيء مضحك أن تلبس شيئاً مجعداً مثل بدلتها. ابتسمت باستياء حين تذكرت بأنها أمضت طوال ليلة البارحة تتمنى لو أنها اهتمت أكثر بثيابها في الأشهر الأخيرة. ثم ارتدت سروالاً قصيراً أخضر فضفاضاً، وارتدت قميصها الواسع. وانتعلت حذاءها الجلدي المريح.

تفحصت جورج نفسها في المرآة. وحاولت أن تخفي شعرها الأشقر الطويل فعقصته في أعلى رأسها وأرخت خصلة لكي تتدلى بدلال مع كل حركة. رائع. إنّ محاولتها للتنكر أعطت نكهة جديدة لمظهرها. فقد بدا مظهرها رهيباً وبالطبع فلن يرغب لوكاس في مرافقتها.

www.liilas.com

الفصل الثاني

كان لوكاس جالساً في غرفة الطعام. يحملق في الفضاء وأصابعه الطويلة تتلاعب بالملعقة، لم يكن متنبهاً لوجودها. توقفت جورج أمام مدخل غرفة الطعام لبرهة حتى تأكدت أنها لفتت أنظار نصف الموجودين تقريباً. وفجأة حوّل لوكاس أنظاره تجاهها. وكأن شيئاً غريباً جذبه نحوها. لقد نظر إليها بتركيز أكثر. ولكن جورج لم تسمح له بأن يسبك. لوّحت له بحماس ودنت منه.

قالت بصوت هادئ: «هذا أفضل. هل طلبت لي فطوراً؟»

«أجل، الفطور الإنكليزي. لقد قلت إنك جائعة، حاولي أن تجدي لنفسك بعض الفاكهة والفطائر من المقصف.» وأشار دون مبالاة إلى الطاولات الملأى بالطعام.

«آه، كم هي رائعة!» قالت بتعجب كأنها لم تلاحظ سوى أنواع الفاكهة وقالت متلعثمة: «لكنني لا... إنها... جميعها... غريبة عني.» ونظرت إليه من خلف نظاراتها وتساءلت كيف قالت ذلك من دون أن تتعمد ذلك. «هلاّ ساعدتني من فضلك؟»

جلس لوكاس بثبات لبرهة، وأحست جورج بصراع بين رغبته في معاملتها ببرودة ومعاملتها بحرارة.

«طبعاً.» ثم رمى منديله ووقف. وكانت جورج قد نسيت كم هو طويل، أطول من ست أقدام. وكان يلفت انتباه الموجودين، يسير حول المائدة ويعرّفها على أصناف الفاكهة من المانغا والبابايا، والغوافة والبطيخ. قال

بصوت ساخر: «لماذا لم تتذوقي كل هذه الأصناف؟»

«آه، لا أستطيع!» قالت بتعجب، وأخذت بعض الشرائح من البابايا التي كانت دائماً تعزم على تذوقها.

جلسا معاً وقدّم لها القهوة وحاول لوكاس أن يتكلم: «لقد حصل سوء تفاهم، يا آنسة باينبريدج...»

قاطعته جورج: «نادني جورج. فكل رفاقي ينادونني جورج، يا سيد لوكاس. وأظن أننا سنصبح صديقين.»

تجاهل تعليقها وتابع الكلام الذي قاطعته: «كنت أنتظر رجلاً، لا إمرأة. وعندما تلقيت من الآنسة بيشوب برقية، ظننت أن المدعو جورج باينبريدج، هو رجل...»

قهقهت جورج: «ستتعجب إن قلت لك إن معظم الناس يخطئون ولا ينادونني جورجيت. لقد كان أبي يتمنى أن يرزق بطفل صبي، ولكن لسوء حظه، لم يرزق سوى بإناث. هنري، ماكس وأنا.»

عمل لوكاس جهداً ليحل هذه المعادلة. «المشكلة هي... يا... جورج، أن هذا سيشكل صعوبات في السكنى. لقد كان مايكل بريود يشاركني النوم في خيمة، ولا يوجد مكان شاغر للفتيات.»

غصّت جورج بقطعة الفاكهة، وقفز لوكاس ليضرب على ظهرها. أكثر بكثير مما يجب، فكرت جورج وأبعدت يده قائلة: «هذا يكفي. أنا بخير.» وأخذت نفساً عميقاً وسألت: «هل قلت خيمة؟»

للمرة الأولى، منذ أن التقيا، بدا لوكاس سعيداً وجلس بثبات في مقعده مبتسماً وقال: «أجل. خيمة لرجلين. ألم تخبرك الآنسة بيشوب ذلك؟ فنحن نخيم في جنوبي نيروبي على ضفاف نهر آتي.» ثم أضاف: «هل كنت تعتقدين أننا سنصوّر في نيروبي؟»

www.liilas.com

لم تقل جورج شيئاً. فقد عجزت عن الكلام، ولم يكن لديها وقت للتفكير بالتصوير نفسه. لقد ظنّت أن المشكلة الوحيدة هي وجودها مع لوكاس. لكن هل كان والدها على علم؟ لا، لا يمكن فهو يعلم بأنها تكره التخييم، وتهاب الظلام والحشرات السامة، لا يمكن أن يجعل عظامها ترتعد.

قضاء اسبوعين مع لوكاس لتؤمن حياة أفضل للمحتاجين. بدا كأنه ثمن رخيص وضئيل. كان يجب أن تعرف والدها أكثر. لقد تحدّاها وأرسلها في رحلة طويلة وشاقة. كيف صدقته بشأن الملجأ؟ وتنفست نفساً عميقاً، صدقته لأبعد الحدود.

أضاف لوكاس: «ولكننا نستطيع أن نجلب لك خيمة أخرى من مكان ما. وأعتقد بأنك ستكونين بأمان إذا لم تتجولي في الليل.» حملق به وهو يضع قطيرة اللبنة. وقال لها: «هل تضعين النظارة عادة؟»

النظارة؟ للوهلة الأولى، كانت جورج قد نسيت كل شيء عنها، ولكنها سرعان ما تذكرت أنها تختبىء خلف نظارتها فقالت: «آه، أجل. دائماً. ولا أستطيع أن أعمل من دونها.»

هزّ لوكاس رأسه وقال: «لبرهة خلت. ظننت أنني قد رأيتك من قبل، ولون عينيك... يذكرني بشيء غريب.»

«ربما التقينا في مكتب والدي.» قالت بسرعة لتبعد الشك عنه ثم أضافت: «مع أن هذا غير معقول، لأنني كنت سأتذكرك.»

«مكتب والدك؟ هل تشارلز هو والدك؟» نظر باندهاش وكأنه لم يصدق ما سمع. «لقد طلبت الآنسة بيشوب أن أتوقّع وصول شاب قريب للسيد تشارلز... وبعدها علمت أن السيد تشارلز ليس عنده سوى فتيات...»

«وكنت تنتظر رجلاً!» وكادت أن تنفجر ضحكاً على كلامه الرائع.

رأت جورج بصيص أمل يلمع في عينيه. ثم قال: «آسف، يا آنسة باينبريدج. أعني جورج، لقد أدركت أنه من المستحيل أن تشاركيني خيمتي، لأن هذا أصبح غير منطقي، فوالدك...»

وجدت جورج نفسها على غير ما تتوقّع بأنها أصبحت خارجاً. فلوكاس لا يريدها. فهو لا يرغب في مساعدٍ يرتدي ثياباً رديئة ومخلوق غير جذّاب. فكّرت بمرارة، إن مهارتها لم تعد على قدر من الأهمية. يمكنها أن تذهب إلى المنزل وتقول بكل صدقٍ إن لوكاس رفض مساعدتها عندما علم أنها فتاة، لكن شعوراً قوياً انتابها بأن أحداً لن يصدّقها. من يصدّق رواية سخيفة كهذه؟ والدي لن يلقي بوعوده للمساعدة في بناء الملجأ. آه، لا، سيد لوكاس، فكرت وهي تحتسي القهوة. لن تتخلص مني بهذه البساطة. وأزاحت عن نفسها خجلاً عندما فكرت بأن لديهما توارد أفكار.

وضع لوكاس يديه على الطاولة، وأقتربت جورج ولامست يديه بنعومة وقالت: «هل تعلم آخر شيء قاله لي أبي؟ قال: جورج، أسعدي السيد لوكاس، وابقيه مسروراً منك. فأرجوك بأن لا تزعج نفسك البتة، سيكون من المريح أن أشاركك الخيمة. وسأشعر باطمئنانٍ كامل.» أجل هذه هي الحقيقة، فكرت بصمت وهي تكتم الرعشة التي أصابتها من جراء فكرة بقائها معه في خيمة واحدة وعلى العشب. قد يكون أي شيء آخر أفضل بكثير من ذلك. وكانت متأكدة أنها ستكون بمأمن ولن تلفت أنظار أحد. «آه، أنظر ها قد جاء الفطور.» حدقت في الطبق المليء بالطعام، أكثر مما تأكل عادة خلال

www.liilas.com

أسبوع. قالت: «شهي.» متمنية أن لا يشعر بعدم الرضى من نبرة صوتها.

قرر لوكاس أن لا يتناول فطوره، فأسند ظهره إلى كرسيه وأغمض عينيه فسنحت الفرصة لجورج لتتأمل معالم وجهه أكثر، فبدا لها أنه أصغر سناً وأقل خطورة. يا للخسارة، لقد ضيّع شبابه في عمل بلا هدف؛ تصميم التقاويم، اختيار فتيات، ومباريات الجمال. إنّ مصوراً بارعاً يملك موهبته وسمعته، من الممكن أن يبدع كثيراً.

«عندما تنتهي من طعامك سنرحل.» قال هذا وعيناه مغمضتان، مما جعلها تقفز من مكانها. كانت جورج تتساءل في صمت، إذا كان يشعر باعجاب نحوها.

«في الحال؟ أرغب في أن أرى نيروبي.»

«أنا لست دليلاً سياحياً وهذه ليست عطلة، يا آنسة جورج، وإذا كنت تريدين أن تكوني مساعدتي، فمن الأفضل أن تتقبلي هذا في الحال.» توقف عن التصرف بلياقة، ورفع نظره ليرى وقع كلماته عليها وتابع قائلاً: «من الأفضل أن لا أردد هذه الكلمات مرتين.»

من الواضح، أنه علق بها، ولكنه لم يحب الفكرة. وشعرت جورج بسعادة ساخرة، لأن هذه الفكرة لم تعجبه، فابتسمت ابتسامة خفيّة. توقفت جورج عن الطعام، على الرغم من أنها كانت ما تزال جائعة.

«سأحضّر حقائبي، إذاً.» وقف، فانتظرت أن يعرض عليها حمل حقائبها، لكنه لم يفعل.

«سأنتظرك في الجيب، أرجو أن لا تتأخري.»

«لن أفعل. على الأقل، أعتقد أن اتصالاً هاتفياً بمنزلي لن

يأخذ وقتاً طويلاً، أليس كذلك؟ لقد وعدت والدي أن أطمئنه عندما أصل.» لقد كان هناك شيطان يقودها لإزعاجه، وكانت عاجزة عن مقاومته.

وضع لوكاس يديه على الطاولة واتكأ عليها. فاصبح وجهه قريباً من وجهها. فلاحظت أن عينيه رماديتان محاطتان بخيوط بيضاء صغيرة.

قال بخشونة: «آنسة باينبريدج، لقد أضعت كثيراً من الوقت اليوم، في مجيئي إلى نيروبي لأبحث عنك، وعليّ أن أعود على الفور. وإذا كنت تريدين العمل لدي، فهيّا بنا. أمّا إذا كان والدك يود الاطمئنان عنك، فليتصل بالخطوط الجوية.»

أدركت جورج أنها تمادت كثيراً، لقد أرادت أن تحرج لوكاس وتغضبه.

«أنا...» ولكنه كان متوتراً ولم يستطع أن يتوقف عن الكلام ويسيطر على غضبه. «عندما أعمل في موقع معين، فأنا أعمل لمدة ٢٤ ساعة في اليوم. سبعة أيام في الأسبوع. وعندما أعمل، فإن على الجميع أن يعملوا.» ثم أضاف بفظاظة: «إذا كنت تريدين أن تكوني مساعدتي، فيجب عليك بأن تكوني دائماً مستعدة خلال ساعات اليقظة... والنوم أيضاً. فمن الأفضل لك أن تقرري الآن ما يناسبك. ليس لدي وقت أضيعه في الذهاب والإياب إلى نيروبي لكي تتصلي بوالدك.» ثم وقف وقال: «إن الرجل مسؤول أكثر...»

ابتلعت جورج غضبها. «وهل ستتشارك في خيمة واحدة، إذن.» أجابت بحدة ثم أضافت: «سأطلب منك أيضاً إذناً للذهاب إلى التواليت.»

www.liilas.com

نظر بدقة حين لاحظ أن قناعها قد زال. «ولكن من الأفضل أن لا أخبر أبي. فقد لا يتفهم ذلك.»

قال وكأنه رجل على وشك الغرق: «أجل، قد لا يفعل. إذن ما رأيك في أن تبقي في نيروبي لبضعة أيام؟ لتتنزهي. هناك أشياء كثيرة ستعجبك، تمتعي بنفسك. ولن يلومك أحد، تستطيعين أن تقولي، إنه من المستحيل العمل مع رجل مثلي. هناك العديد من الناس الذين سيصدقونك.» تبدّلت نبرة صوته وكاد أن يبتسم ثم تابع: «يمكنك أن تري كيف ستجري الأمور بيننا، لهذا فأنا أفضل أن يكون مساعدي رجلاً. ستجري الأمور في منتهى القساوة بيننا.»

وصوت عنيف قالت: «الآن، يا سيد لوكاس...»

قاطعها قائلاً: «لوكاس، فقط لوكاس.»

ضحكت ثانية وقالت: «آه، نعم مثل جورج. الآن يا لوكاس تذكر ما قلته لك. لقد قال لي أبي بأن لا أزعجك أبداً. وأن أكون مساعداً نشيطاً، وسوف أفعل. ولكن، هل ستتدبر أمورك جيداً، إن لم تجد أحداً يمسك لك ساعة مقياس الضوء. سوف أحضر حقائبي في الحال. ومن ثم نغادر.»

«ماذا؟ تحملين ساعة مقياس الضوء لي...؟» ولبرهة ظنت جورج أنه سينفجر. ولكن، بدلاً من ذلك، قال لها وهو يتنهد: «حسناً، سأراك في الخارج.»

كان ينتظر بفارغ الصبر أمام سيارته عندما عادت ورمت حقائبها في الخلف ثم قفزت لتجلس إلى جانبه. حملق بذهول إلى قبعتها الكبيرة، التي أضفت على مظهرها الخارجي ابتذالاً، وقد ظنت أنها في قمة الأناقة. فتح فمه ليتكلم ثم أغلقه.

سألت بابتسامة سعيدة: «حسناً، ماذا تنتظر؟ لقد ظننتك مستعجلاً.»

لم يجب، فأدار محرك سيارته وضغط على دواسة البنزين، وانطلق مسرعاً ومبتعداً عن فندق نورفولك.

سارا أميالاً قبل أن يتكلم: «إن قبعتك بشعة.»

قالت جورج: «أوه. هل تظن ذلك؟ إنها فقط لتحمي وجهي من وهج الشمس.»

نظر إليها بطرف عينيه، وابتسم قائلاً: «بالتأكيد. فأنا لا أريدك أن تصابي بضربة شمس. وعلى الأقل الفتيات الأخريات لن يشعرن بالمنافسة.»

«فتيات؟» كررت رافضة أن تشعر بالغضب. وبعد، قالت لنفسها، بأنها لن تهتم كيف يفكر بها.

«إنهن مخلوقات عصبيات وحساسات جداً، ولا يحبن المنافسة من غير المحترفات.»

«أنا آسفة. فأنا لم أفهم. أية فتيات؟»

حملق لوكاس إليها وقال: «العارضات. عندنا ثلاثاً منهن، كيلي، آمبر وبيتش.» تنهد ثم أردف: «من أجل التقويم وتقويم والدك.»

«تقويم.» زفرت الكلمة. لم تكن سؤالاً، لأنها أدركت الآن حجم العقوبة التي أنزلها بها والدها. منذ نصف ساعة كان يمكنها أن تتهرب من كل هذا. ولكن ليس الآن. وها هي الآن متوجهة إلى مخيم مجهول الموقع برفقة لوكاس. وكل ما لديها هو بعض الشيكات السياحية، وليس لديها بطاقة سفر للعودة. ليس لديها سبيل للعودة إلى المنزل من دون أن تتوسل والدها وهذا ما لن تقوم به.

www.liilas.com

لقد علقت بالفخ، ويجب أن تتأقلم مع الوضع وتستغل الأفضل منه.

«نعم، تقويم. ألم يخبرك والدك؟»

وأجابت: «كان يمازحني، فلديه روح الدعابة.»

رمقها لوكاس بنظرة، وكاد أن يبتسم. «نعم، أوافقك الرأي. والآن أخبريني ماذا تعرفين عن التصوير. وما هي خبرتك.» أضاف متسائلاً: «إذا كان هناك أي شيء.»

لم تجبه في الحال، ولم تثق بنفسها لتجيب، وغرزت أظافرها في كفيها لتمنع نفسها من قول ما تفكر به. وبدا لوكاس أنه غير مستعجل لسماع ردها. لم تكن تعابيره واضحة وهو ينتظرها لتجمع أفكارها. جلست يائسة، تحاول أن تفكر بشيء ذكي تقوله وتبرر وبي تختفي خلفها وهو يقود سيرًا عبر السهول الخالية.

لوهلة كانت تستمتع بهذه اللعبة، ولكن فجأة لم تعد لعبة، وتاهت نظراتها بالأفق الواسع، تبحث عن وحي. كانت التلال من اليمين داكنة اللون، والسهول تنساب بعيدة عنهما. كانت شاسعة ورائعة الجمال.

هزت جورج رأسها لتركز أفكارها. لماذا تتذمّر هكذا؟ ربما ستدوس على كرامتها وترضى بأن تخضع لسلطته وأوامره. آه، كم من الآلام ستتحمل، وكيف ستستطيع ذلك؟ ولكنها بالتأكيد ستحاول. وسوف تستمتع بذلك.

«لقد أخذت الكثير من الصور العائلية.» قالت بتردد، محاولة أن تبقي ملامح وجهها جدّية. «الكلاب، وأبناء أخواتي.» وسرقت نظرة إلى لوكاس. تجهّم وجهه وهو يحاول أن يستوعب جوابها. «إنها صور جيدة. هكذا يقول الجميع.»

قال بصوت خال من التعبير: «كلاب وأطفال. فهمت. وهل هناك شيء آخر؟»

تظاهرت بالتفكير وقالت: «لقد أخذت صورة لأميرة العرش مرة.»

قال: «آه؟» محاولاً أن يبدو مهتماً.

«أجل. لقد حضرت لتدشين جناح جديد في المدرسة. وبالطبع كانت حينها الأميرة آن ثم... أرسلت لها نسخة، ظهرتها لها بنفسي. لقد كتبت لي وشكرتني.» ومن ثم عدّت إلى ثلاثة بصمت. «في الحقيقة، الوصيفة، هي من بعث الرسالة، وأنا مازلت أحتفظ برسالتها مع مذكراتي. الطقس حار جداً، أليس كذلك؟»

كانا قد أخذا بالانحدار، وأصبح الجو أكثر دفئاً. لقد تغير هواء التلال العليل الجاف وأصبح الآن حاراً ورطباً.

أجابها مع بعض الشرح: «كان من الممكن أن تكون رحلتنا أبرد لو لم تأكلي. والطقس سيصبح أكثر حرارة الآن. نيروبي ترتفع عن سطح البحر حوالي ستة آلاف قدم، ونحن سننزل إلى ثلاثة آلاف قدم.»

«كم سيستغرق من الوقت وصولنا إلى المخيم؟» سألته، وهي تنظر من حولها ليقع نظرها وهي مندهشة على قطيع من الغزلان، ترعى العشب قرب الطريق.

«هذا يتوقف على كثافة السير.»

«على ماذا؟» اندهشت وهي تسترجع انتباهها نحو لوكاس. «أي سير؟» كانت الطريق تمتد أمامها بوضوح وهي خالية تماماً. لقد تجاوزهما القليل من سيارات الأجرة المحملة فوق طاقتها بسرعة جنونية، وأيضاً بضع شاحنات تتجه نحو العاصمة.

www.liilas.com

«ليس سيارات أو شاحنات. كنت أفكر بفيل جالس في وسط الطريق ولا يريد أن يتحرك.»

«أنت تمزح!»

بدت علامات الرضا على وجهه الأسمر عندما لاحظ بأن ثقتها قد تزعزعت وقال برقة: «مرة من المرات اضطررت أن أرجع لمسافة خمسة أميال وأمر عبر طريق فرعية، فقط لأن فيلاً أراد أن يسير في الطريق بالاتجاه نفسه. لكن الأمر لم يستغرق أكثر من ساعتين، على ما أعتقد.»

«أين كان هذا؟»

«الفيل؟» أومأت برأسها، فتابع كلامه: «هناك، على طريق زامبيزي.»

ليس هنا. وانتابها شعور مريح وسألت: «وهل كنت تأخذ صوراً لتقويم هناك أيضاً؟»

ارتسمت على وجهه ابتسامة مفاجئة وقال: «كان من الممكن أن أفعل. كان هناك الكثير من الفتيات الجميلات.» عندها زالت ابتسامته. وتابع قائلاً: «كنت هناك لأصور صوراً دعائية لوكالة غوث الأطفال. كانوا يحاولون أن يجمعوا تبرعات لشراء لقاحات ضد الشلل.»

«آه.» سكتت جورج.

عقد لوكاس حاجبيه عابساً وسأل: «هل هذا يفاجئك؟»

«كلا. ولكنني كنت آمل بأن هذا ما تفعله هنا.»

«أفهم. حسناً، أنا آسف. يجب أن تقولي هذا لوالدك... إنه تقويم.» ونظر إليها نظرة حائرة. «أسهل من الكلاب والأطفال في أي يوم من أيام الأسبوع.»

تعرف مدى الصعوبة التي عانتها لتحصل على الصور لأبناء وبنات أخواتها، لم تشك، جورج بهذا، ولكن ليس هذا بالطبع ما كان يعنيه.

«الأطفال والكلاب غير مؤذيين.» ردت عليه بحدة وندمت قبل أن تخرج الكلمات من فمها.

قال ببرود: «بعض الأطفال، وبعض الكلاب.» وقاد السيارة ولازمهما الصمت لفترة حتى وصلا إلى جسر. توقف لوكاس جانباً ونزل من الجيب ومد يده ليساعدها على النزول.

«لماذا توقفنا؟»

قال: «أريدك أن تستمتعي ببعض المناظر.» وعلى الرغم من وجود شيء ما في عينيه يدل على أنه يكذب، تابع قائلاً: «أنت تريدين أن تشاهدي بعض المناظر، أليس كذلك، يا جورج؟» وبتردد وضعت يدها بيده وسمحت له أن يساعدها بالنزول. ووقفا للحظة تحت أشعة الشمس المحرقة، كانت جورج منتبهة بشدة لانتقادات لوكاس، ولأصابعه الدافئة وهي تمسك بيدها. كانت مسرورة من الحماية التي تؤمنها لها النظارة، فقد أفلتت بعيدة عن نظراته الثاقبة وتطلعت من حولها.

«حسناً؟ ما هو الشيء الذي من المفترض أن نتفرج عليه؟»

«ذلك.» أجابها وهو يشير إلى جسر آخر بعيد يعلو النهر. «إنه جسر سكة الحديد تسافو.» وهزت رأسها غير متأكدة، وتتساءل مستغربة عن الشيء المميز بجسر سكك حديدي عادي.

«إنه جميل، شكراً لأنك أريتني إياه.» واستدارت لكي تصعد إلى الجيب. ولكنه بقي ممسكاً بيدها وشد عليها أكثر.

سألها: «بالتأكيد سمعت عن آكلي لحوم البشر من تسافو؟»

www.liilas.com

ثم أردف: «ألم تقومي بوظيفتك قبل أن تأتي في هذه الرحلة؟»

«لم يخبرني أحد عن هذه الرحلة، حتى نهار الأمس.»

«يخبرونك؟» وهز بكتفيه ولم ينتظرها كي تجيبه. «كان هناك أسدان قتلا وافترسا أكثر من مئة رجل كانوا يعملون في بناء الجسر.»

قالت جورج باهتمام بالغ: «يا إلهي.»

«ذاك هو الجسر. فكرت أنه سيثير اهتمامك.»

«آه، بالطبع، أنا أحب القصص القديمة. فهي تحوي الكثير من المبالغة.»

عندها ضحك لوكاس وقال: «أتظنين أني أبالغ؟ لقد توقف العمل في الجسر لمدة سنة. هناك كتاب رائع عن هذا الموضوع بسيرة شخصية كتبها مهندس المشروع. سأعيره لك، إذا كنت تظنين بأنه سيكون لديك وقت لقراءته.»

حينئذٍ رمقته بنظرة طويلة ولكن تقاسيم وجهه القاسية لم تتغير أبداً فقالت: «شكراً جزيلاً.» وترك لوكاس يدها ثانية لتصعد إلى الجيب، وهي غير متأكدة من نواياه.

«لقد سحبت مرة مهندساً من القاطرة عن السكة.» قال ذلك وهو يجلس إلى جانبها في الجيب ثم أضاف: «ولكن معظم الضحايا هم من العمال الهنود النائمين في خيمهم.» وشدد كثيراً على كلمة خيمهم. وتوقف عن الكلام وداس على البنزين مسرعاً. وتابع قائلاً: «وبالطبع الأسود ليست بالضرورة أخطر حيوانات هذه المنطقة. لأنه يوجد البعض من دودوس المؤذية.»

«دودوس؟»

«حشرات، ناموس، زحافات مخيفة. هكذا يسمونها بلغة السواحيلي.»

شعرت جورج بالعرق البارد ينضح منها، عندها حاولت أن تمسحه من تحت نظارتها. وهنا انتبهت إلى أنه يلاحظ إنزعاجها وهو مسرور، فحاولت جاهدة أن تسيطر على نفسها فقالت: «آه، أنظر إلى تلك الإشارة على الطريق: انتبه، فيلة. تماماً مثل ما يحدث مع الجياد في نيوفورست.»

التفت لوكاس إليها بتوتر، وقبل أن يوجه إليها ملاحظة قاسية تحول تركيزه فجأة وخفف من سرعة الجيب.

«ماذا حصل؟ لماذا توقفنا؟»

«إهدئي. يوجد فيلة أمامنا. ربما ستعبر الطريق.» ثم هيأ الجيب للرجوع في حال حاول القطيع أن يلحق بهما.

«لا تكن سخيفاً...» بدأت جورج تقول، لأنه بالطبع كان يحاول أن يسخر منها. ولكن فجأة أصبحت تراها. هناك على طرف الطريق، بين الأشجار الخضراء الكثيفة، لقد رأت قرون العاج وآذانها العملاقة تتحرك ببطء وقالت: «آه، كل هذا غير معقول.» ثم همست: «هل تعني أنها فقط تعبر حيث يوجد إشارة؟ كم هذا ذكي.» ثم ابتعدت عن وكيلها المطلق المبالغ، وتاقت إلى آلة التصوير واستدارت لتتناول حقيبتها من المقعد الخلفي، وهي تلعن نفسها لأنها لم تحضر بعض الأفلام قبل مغادرتها.

«اهدئي، لا تتحركي.» همس لوكاس وهو يمسك يدها بقوة ويعيدها إلى مقعدها.

«لكن أنا... آه أنظر هناك واحد صغير...» ثم استدار واحد من أكبر الحيوانات ليواجههما. وسار إلى الأمام، وهو يلوح بأذنيه الكبيرتين.

«اهدئي! نحن لسنا في حديقة الحيوانات!» وفي الحال

جلست جورج في مكانها لا تتحرك لأنها شعرت بأن الفيلة كانت تهددهما. وكل ما تستطيع أن تفعله الآن هو أن تكتفي بالنظر، وبصمت إلى القطيع وهو يعبر الطريق، وكانت مسرورة في هذه اللحظة بالذات لأنها لم تكن بمفردها على الرغم من الطريقة المشينة التي أمسك لوكاس يدها بها. برغم الحرارة والغبار المتصاعد، ما تزال تشم رائحة الكولونيا المنبعثة منه وأدارت نظرها إلى القطيع لتراقبه.

تذكرت أول مقابلة لها معه، كان لوكاس ناعماً وساحراً، يرتدي بدلة السهرة الثمينة وقميصاً أبيض ثلجياً. شعره الأسود، على الرغم من غبار الطحين، كان كأنه خارج لتوه من عند المزين. الآن، كان بعيداً كلياً عن الأناقة ومبللاً بالعرق من الحرارة، شعره أخذ شكل تجعداته الطبيعية والعرق يتصبب على خديه، وترك بقعاً على سترته الخالية الكمين التي ارتداها فوق قميص قصير الكمين.

وتساءلت جورج عن أصله، ومن أين أتى. الإسم... لوكاس... لهجته ماتزال فيها لكنة، إنها تعتقد أنه من شرقي أوروبا.

استدار، ولاحظ أنها تراقبه. وبقي يحدّق فيها للحظة، ثم قال: «لقد عبرت تقريباً.»

حكّت يدها حيث أصابعه شدّت على اللحم وأصبح لونه أحمر. قفزت فجأة من كرسيها عندما استدار أحد الحيوانات فدار وجأر بصوته، ورفع خرطومه، قبل أن يدور مجدداً ويختفي مع رفاقه.

عندما ذهبت، تحرّك لوكاس ببطء إلى الأمام. ونظرت جورج بتوتر داخل الأشجار الكثيفة إلى جانب الطريق

وهي تعبر، لكن لم تلاحظ أي شيء قد يهددهما. الفيلة ذهبت. واسترخت في مقعد السيارة الصلب. وقالت: «ما أضخمها.» تنفست الصعداء ثم سألت: «هل هذا يحدث غالباً؟»

«أنا أعتقد هذا. ولكنك كنت محظوظة لتشاهديه. إنه عبور فيلة تاريخي. إن الإشارة وضعت ومن الأفضل أن تبقي آلتك للتصوير جاهزة في المستقبل، في حال حالفك الحظ مجدداً.»

ارتفعت الشمس إلى قرص السماء وبدأت الحرارة ترتفع تدريجياً ولأول مرة، تساءلت جورج عمّا يخبىء لها القدر. لقد كانت مرهقة جداً في اليوم الأول لتقلق على ذلك. ولم تعطها المواجهة مع لوكاس أي وقت لتفكر. ولكن، بالإضافة إلى لوكاس، يوجد هنا أفاعٍ، وعناكب و... وبالطبع، أسود. أقشعر بدنها لمجرد التفكير بكل هذه الأمور. وكانت تريد بياس أن تنظر حولها وتتأكد من أنه لا يوجد شيء في الجيب معهما... إذ كان العرق يتصبب منها وهي تتخيل كل هذا في وضح النهار. فكيف ستكون الأمور في منتصف الليل؟

حاولت أن تتمالك نفسها، وتبعد عنها كل هذه الأوهام.

«تمسكي جيداً!» هذا التحذير أتى في الوقت المناسب. كانت قد أصبحت خارج مقعدها تقريباً عندما غيّر اتجاه الجيب عن الطريق نحو الأدغال وفوق سكة الحديد. رأت هناك مجموعة من الأكواخ، دكاناً صغيراً، عدداً من الدجاج ونظرات بعض الأطفال شبه العراة تحملق بهما بعيون سوداء اللون وهما يمران بهم.

«قولي وداعاً للحضارة.» قال لوكاس وهو يبتسم، وهما يثبان بالجيب على الطريق! والتقطت جورج أنفاسها عندما

www.liilas.com

عبر الجيب بقناة ووثبا ثانية، وارتفعت كلياً عن مقعدها. وبدا أن لوكاس لم يلاحظ، ولكنه كان يتمسك بالمقود. عندها تمسكت جيداً بمقعدها لأن الجيب استمر بالوثب على الطريق الوعرة، تاركاً خلفه غيوماً من الغبار الأحمر.

عبر الطريق غزال مسرع مذعور، وقفز تقريباً من فوق الجيب.

قال لوكاس ساخراً: «إنها فقط حيوان إيمبالا. سوف تعتادين عليها. سوف ترين كل أنواع المخلوقات إذا أبقيت عينيك مفتحتين، ثعالب، بنات آوى...»

«أسود؟» سألته مقاطعة.

عبر أفوق خندق آخر ولم يجاوبها. وسمحت جورج لنفسها أن تشعر بقليل من الانتصار. يجب أن يكون مجنوناً ليفكر بأنه يستطيع أن يخيفها بصمته عن الأسود التي تأكل البشر. فهي لم تكن تخاف من الأسود. ولكن دودوس هي شيء مختلف.

«لقد وصلنا تقريباً.» خفف من سرعة الجيب واستطاعت جورج أن ترى، على بعد، مساحة من الأرض أكثر اخضراراً. «المخيم على الجهة الأخرى من النهر.»

النهر، هو كناية عن ممر ضيق حفرته سيول الأمطار الموسمية، ولكنه الآن لا شيء أكثر من جدول هزيل من الماء يجري بين ضفتين عريضتين من الرمل ويتسع في بعض الأحيان ليصبح بركة. اقترب لوكاس من الضفة بحذر. «من حسن حظنا أن الأمطار كانت خفيفة، وإلا كان علينا أن نعبر بواسطة زورق.»

«ليس لدي أي اعتراض إذا تبللت قدمي لسبب حسن.» قالت جورج بوقاحة ولكن سرعان ما تمنت لو لم تقل هذا.

«ستندمين على هذا القول، يا جورج.» ابتسم لوكاس لفكرة مرّت بباله. وبدأ النزول إلى مجرى النهر. وتمسكت جورج جيداً حتى وصلا إلى القعر، حيث تناثرت المياه عليهما. ثم بدأ بالصعود إلى الضفة الثانية. وللحظة ظنت جورج بأنه لن يتمكن من الصعود. وحبست أنفاسها عندما بدا الجيب وكأنه معلق وغير قادر على الوصول إلى قمة الضفة. ولكن فجأة وصلا إلى هناك. مهما كان اسم ذلك، الهناك.

«أهلاً بك في كاتيكاكاي.» قال لوكاس وهو يشير ملوحاً بيديه إلى بضع خيم.

«كاتيكاكاي.» قالتها ببطء. لقد كان للكلمة صدىً سحري، تحضير الأرواح بواسطة السحرة والرقصات القبلية. «ماذا يعني هذا الاسم؟»

«مكان الخوف أو مكان القتل... اختاري.»

حملقت جورج به، تحاول أن تقرر إذا كان يحاول أن يخيفها مجدداً. ولكنه نزل من الجيب وخطا باتجاه خيمة كبيرة حيث كان يجلس بعض الناس. وشعرت فجأة بأنها أصبحت بمفردها، نزلت بسرعة من الجيب، وركضت خلفه وهي تحاول أن تتجاهل ما قد يوجد في العشب اليابس.

رأت عدداً من الأشخاص يجلسون حول طاولة، يلعبون الورق. سمعتهم يرحبون بلوكاس، ولكن سرعان ما تركّز انتباههم عليها. استدار لوكاس وأمسكها بيدها وسحبها للأمام.

قال وهو يفخر بنفسه: «سيداتي سادتي، أقدم لكم جورج باينبريدج.»

خيّم السكون فجأة، إلى أن استدار رجل في منتصف العمر، وحملق بها للحظة ثم ابتسم فجأة وقال: «يا إلهي. إنها فتاة.»

www.liilas.com

قال لوكاس ساخراً: «أنا مرتاح الآن، فأنت تعرف الفرق، يا والتر.»

«آه، أنا أعرف الفرق، يا عزيزي.» ثم تقدم باتجاه جورج ومدَّ يده مرحباً. «لا تابهي للوكاس، فهو إنسان رهيب.»

نظرت السمراء الساحرة، إلى جورج، ثم أبعدت نظرها. «أظن بأني قد ربحت. ستريت فلوش.» ثم وضعت الأوراق على الطاولة أمامها. شعرت جورج بنبض يضرب في عنقها. كان موقف الفتاة وقحاً حين تجاهلتها. ثم حاولت جاهدة أن تركز تفكيرها على السبب الذي هي من أجله هنا، في أرض الرعب هذه، أن تركز تفكيرها على المشردين الذين ينامون داخل صناديق الكرتون، لأنهم السبب في حضورها إلى هذا المكان المخيف، ثم حاولت أن تبتسم ووقفت في ظل الخيمة. «من الواضح أن هناك إشكالاً. أنا جورجيت بامبريدج والجميع يناديني جورج.»

«هل توجد صلة قرابة بينك وبين السيد تشارلز؟»

«إنها ابنته، يا والتر.» من دون أن ترى نظراته، وأحست جورج بها تنتقل بينهما.

«هل هناك شيء للشرب، ماذا تريدين، يا جورج؟»

«مياه معدنية؟» جاوبته، وناولها كوباً من الماء البارد.

«شكراً.» شربته بسرعة. «سأجلب أغراضي من الجيب، إذا أرشدني أحدٌ أين أضعها.»

«تعالي، سوف أساعدك.» قال والتر عندها، وبعدما فكر للحظة. «أين ستنام؟»

«يوجد هناك سرير واحد خالٍ.» ذكَّره لوكاس من دون أن يوضّح.

نظر إليه والتر، ثم هز كتفيه. «آمل بأنك تعرف ماذا تفعل، يا لوكاس.»

قالت الفتاة السمراء: «ستكون بأمان. إن لوكاس خبير بالعناية بالنساء.»

«تعالي، يا جورج.» أخذها لوكاس من يدها وسار عبر المخيم. وبصمت حمل حقائبها.

«أستطيع أن أحملها.» اعترضت جورج ولكنه حملها إلى أقرب خيمة. حمل الحقائب بيد واحدة وهو يفك سحاب المدخل، ودخل ثم وضعها على أحد السريرين. وبعد تردد قليل، لحقت به جورج.

سألت: «يا إلهي، كيف يمكنك النوم هنا؟»

«إنه ليس سيئاً في الليل، ولكننا نبقي خيمنا مقفلة لتجنب الناموس.»

أملت بأنه لم يسمع الصوت المختنق في حنجرتها وهو يفتح السحاب الخلفي ليخرج. ولكنه نظر إليها وسألها: «هل أنت على ما يرام؟» أومأت برأسها ثم أردف: «فقط تذكري بأن تقفلي السحاب ولا شيء يمكن أن يدخل.»

قالت وهي عاجزة عن إخفاء انزعاجها: «لن أنسى هذا.»

«يوجد هنا مكان صغير للاغتسال. العامل يحضر بعض الماء في الصباح والمساء.» ثم نظر إلى إبريق من المعدن وأضاف: «يوجد فيه ماء إذا أردت أن تغتسلي. الدوش يستهلك الكثير من الماء. لذلك نقنن ونلتزم بالحصص. والأفضلية بالطبع هي للعارضات. سوف نضع برنامج عمل حين تصبحين جاهزة.» ثم استدار ليخرج، وتوقف وظهره في مقابلتها وقال:

www.liilas.com

«سأحاول أن أحضر لك قطعة من القماش لتصنعي منها ستاراً بيننا إذا أردت.»

«شكراً. فقط امنحني دقيقة لأغسل وجهي...»

خرج من الخيمة. خلعت جورج القبعة عن رأسها واستلقت على السرير. الخيمة كانت صغيرة جداً لتتسع لشخصين. وتساءلت جورج. كم من الوقت سيمر قبل أن يتذكر أين رآها من قبل. لا يمكنها أن تنام وهي تضع النظارة، ولن تبقي شعرها مربوطاً في الليل والنهار. لذلك فكرت أنه من الأفضل أن تضع ساتر القماش بين سريرها وسرير لوكاس على الفور.

الفصل الثالث

استحمت جورج، لتتخلص من الغبار الذي انتشر على كل جسمها، وأحست أن أعصابها مشدودة من الرحلة الطويلة تحت أشعة الشمس في سيارة الجيب. وبحثت في حقيبتها عن مرطب للبشرة، فوضعت يدها على كريم ضد حروق الشمس كانت قد أحضرته بيشوب خصيصاً لها. آه، عزيزتي بيشوب، فكرت ثم وضعت قليلاً منه على وجهها ثم وضعت بعناية مسحوقاً أخضر فوق أنفها.

ألقت نظرة إلى المرآة وقالت لانعكاس صورتها فيها: «إذا كنت غير مجدية، وبلا نفع، يا جورجيت بايبربريدج، فهذا المستحضر سيساعدك قليلاً.»

رمت قبعتها جانباً. كان لوكاس على حق، فقبعتها في منتهى البشاعة، لم تستطع أن تتذكر حتى من أين اشترتها، ربما من أسواق المحسنين، ولكن هذا لا يعني أنها بلا ذوق. ثم بدّلت نظاراتها ورفعت كتفيها واضعة ابتسامة باهتة على وجهها وخرجت لتتمتع بنهار افريقيا.

عندما ظهرت جورج، سكت الحاضرون. وبدا من الواضح أنهم كانوا يناقشون وصولها. ومشى لوكاس خطوة باتجاهها ثم توقف فجأة وقد ألجمه أنفها المطلي باللون الأخضر عن الكلام. وكان والتر أول المتكلمين:

«حسناً، انظروا إلى جورج المفاجأة.» وابتسم فظهرت أسنانه ناصعة البياض.

www.liilas.com

«مفاجأة؟ آه، لأنني فتاة!»

رفع والتر حاجبيه، لكنه لم يأبه لما قالت وأضاف: «دعيني أقدمك للجميع. أنا والتر برنت، مدير فني لهذه المجموعة. وسوزي هي المسؤولة عن الملبوسات.» صافحت جورج السيدة ذات الأربعين عاماً.

«أهلاً وسهلاً.»

تابع والتر: «مارك هو فنان التبرج. كيلي، بيتش، وآمبر هن سبب مجيئنا. تعالي واجلسي لقد كنا نلقي نظرة على الرسومات والتصاميم.»

جلست جورج على كرسي خشبي قرب والتر ونظرت إلى تصاميم اللقطات المخطط لها.

ثم سألت: «أية واحدة ستصور قبلاً؟»

«لقد وجدنا منظراً رائعاً لهذه.» وجلب ورقة من ملف كبير.

نظرت جورج إلى تصميم لصورة كيلي ممددة على صخرة كبيرة وسألت: «هل سوزي هي المسؤولة عن تصميم الأزياء؟ ماذا تفعل الآن؟»

ضحك والتر: «حسناً، هناك الأزياء المحلية الجميلة، المطرّزة بالخرز... إن هذه الصورة مع الخرز، أليس كذلك، يا لوكاس؟»

أحست جورج بيد لوكاس تمتد على كتفيها فقفزت من مكانها واستدارت نحوه. فنظر متأملاً عينيها وابتسم قائلاً: «نعم. هذه الصورة مع الخرز.» وسحب كرسيه ليجلس بجانبها، وترك يده تتدلى على كتفها.

قالت سوزي وهي جالسة خلف آلة الخياطة: «هذا ليس خرزاً بل عزقات وبراغي العجلات. وبعض قطع السيارات، هذا ما تريد الدعاية له في التقويم.»

«قطع غيار السيارات؟»

قال والتر: «أنت تعلمين ذلك بالتأكيد؟ فوالدك هو زبون دائم عندنا.»

أحست جورج بأنها غبية. فقالت بتهجم: «ليس لدي علاقة بهذا العمل.»

قال لوكاس وهو يحاول أن يمزح: «لا أظن بأن جورج توافق على نمط عملنا. فهي تظن أننا سنلتقط صوراً رائعة من أجل مجلة الناشونال جيوغرافيك.»

قالت بتوتر: «ما المضحك بذلك؟»

«لا، لا شيء. هل تضعين دائماً صبغة خضراء على أنفك؟»

«إذا شعرت أن الظروف تتطلب ذلك.»

برقت عيناه وقال: «إنني أتساءل، ما هي الظروف التي دفعتك الآن لذلك؟» فتحت فمها للجواب، إلا أنه أسكتها قائلاً: «ليس الآن. لا أشعر أنني قوي كفاية لسماعها.» ثم استدار نحو والتر وسأله: «هل وجدت منظراً مناسباً لهذه اللقطة؟»

التحضير لبرنامج عمل الأيام التالية، أخذ منهم كل الوقت حتى حلول موعد الغداء.

عندما تناول الجميع طعامهم من المقصف، وقفت جورج حائرة، وهي تحمل طعامها في يد وكأس المياه المعدنية في اليد الأخرى. تحلقوا في مجموعات صغيرة ما عدا جورج، التي شعرت أنها مبعدة. فانتبهت إلى حركة مفاجئة في طرف عينها، ومر شيء سريع من أمامها، واختطف حبة بندورة من صحنها. فصرخت مذعورة.

«ربما من الأفضل أن تجلسي، فقد ظنت السعادين أنك تقدمين الغداء لها.» سحب كرسياً وجلس إلى جانبها.

www.liilas.com

«آسفة، لكنه حقاً أرعبني.»

قال ليغيظها: «إنه مجرد قرد.» ثم سألها بعد أن لاحظ أنها لا تأكل: «ما بال الطعام؟»

«لست بجائعة.» ورمت الشوكة في الطبق ثم أضافت: «لقد أكلت كثيراً على الفطور.»

«ليس كثيراً. لقد تركت الكثير منه.» وتابع كلامه وهو يأكل: «لا تنسي، يجب أن تشربي الكثير من السوائل.»

«سأفعل.» شربت كوباً من الماء، وتمنت أن يذهب لوكاس وينضم للآخرين ليتركها بسلام.

«إن الوضع صعب جداً، أليس كذلك، يا جورج؟» تأملت كلماته، آه وكأنه يقرأ أفكارها وتابع كلامه: «الإنضمام إلى فريق سبق أن عمل أعضاؤه معاً.»

«آه، أجل. افترض ذلك.»

«نحن نعمل في هذا المشروع منذ فترة والعلاقات قد نمت والصداقات توطدت.» ثم أشار إلى المجموعة وهم يتبادلون الأحاديث وأردف قائلاً: «إنهم فريق جيد لكنهم لا يعرفونك. وأنا لا أعرفك أيضاً.»

أدركت جورج أنه يلمح لشيء ولكنها لم تستطع وضع اصبعها عليه فقالت: «لقد لاحظت ذلك.»

هزّ لوكاس رأسه وقال: «حسناً. في هذه الحالة، ستفهمين أن سبب قلقي، هو أن تسببي متاعب لا ضرورة لها، فعندنا ما يكفي.»

غرقت جورج في الحيرة، فقالت وهي تتنهد: «لقد أتيت للقيام بوظيفتي. ليس لدي نية لمضايقة أحد...»

«لكنك تعرفين القليل عن هذه الوظيفة. لا أعرف لماذا

تحاولين مضايقتي، يا جورج. سخيفة جداً منذ اللحظة الأولى، وأحسست بأنك عبء عليّ. لقد كنت أنتظر شخصاً محترفاً، هل فهمت؟ ولكن إذا أرسلك والدك للقيام بهذه الوظيفة، فليس لدي خيار سوى أن أحترم رغباته. فهو أولاً وأخيراً المسؤول الأول.» ثم وقف.

حاولت جورج جاهدة أن لا تقول له رأيها به ولكن بدلاً من ذلك قالت عبارة غامضة: «ما الذي يجعلك تظن أنني غير محترفة؟»

هزّ لوكاس كتفيه بلا مبالاة وقال: «لأنك لست بحاجة لهذا العمل. فأنت تستطيعين أن تختاري العمل الذي يحلو لك، هذا هو الفرق، بين هاوٍ متحمس، ومحترف.»

«ربما.»

اقترب والتر منها وقال مقاطعاً: «غداء عمل؟» احتسى من شرابه وأضاف: «لا تتركي لوكاس يتعبك كثيراً بالعمل، فقد يجعلك عبدة لأعماله. انتبهي فهو يحاول السيطرة عليك لتكوني كالخاتم في اصبعه.»

«إن العمل لا يتعب أحداً.» قال لوكاس مشدداً على ذلك مما جعل جورج تشعر بأنه يوجه الكلام لها شخصياً.

قال والتر برقة: «هكذا يقولون. ولكن المجازفات لا تنفع دائماً يا عزيزي. من الأفضل أن نستعد للذهاب إذا كنت مصمماً على العمل بعد الظهر.»

«طبعاً، سنصور بعد الظهر. هناك أشياء أهم وأفضل بكثير من الاسترخاء تحت الأشجار وإضاعة الوقت. تعالي، يا جورج لنرى ما الذي تخبئينه تحت قبعتك.» ثم مشى بسرعة مبتعداً، تاركاً والتر في دهشة شديدة.

«حسناً، يا جورج. ما هذا التأثير الغريب الذي تمارسينه

www.liilas.com

على المسؤول الأول؟ لكن ألا تظنين أنه من الأفضل أن تلحقي به؟ فهو حتماً سيبحث عن أحد ليملي عليه أوامره.»

تنهدت جورج مودّعة والتر ولحقت بلوكاس. لقد وجدته في خيمة المعدات يتفحص آلة التصوير والعدسات.

سألها: «لماذا تأخرت هكذا؟» ثم أشار لها نحو براد صغير قائلاً: «اجلبي بعض الأفلام العادية واثنين من الأفلام الفورية. وضعي الأفلام في آلات التصوير، فالجو البارد هنا يساعد على عدم فساد الأفلام.»

لبّت جورج طلبات لوكاس فوراً، فقد كانت خبيرة بشؤون الأفلام وآلات التصوير ووضعتها بعناية في الحقيبة المبرّدة، وكانت متيقنة بأن لوكاس يتابع كل حركاتها. سألته: «ماذا تريد أيضاً؟»

التقط لوكاس ساعة مقياس النور ووضع الشريط المعلّق بها حول رقبتها. وقال لها محذراً: «انتبهي لهذا، لا تفقديه، وإذا ابتلعه تمساح، يجب عليك أن تسحبيه منه.» كان يتكلم معها وهو يقف قريباً جداً منها وكأنه سيلمسها. مما جعلها تحبس أنفاسها وتحمر خجلاً.

سألته بتلاعب: «هل هذا ما حدث لمساعدك السابق؟»

كانت أصابعه ما تزال على الرباط وفجأة شدها وقال: «إنه لشيء غريب، يا جورج. كدت أن أقسم بأنك لا تعرفين عدسة آلة التصوير من مرفق يدك حين رأيت آلة التصوير الجديدة التي جلبتها معك. أظن أنني كنت مخطئاً.»

شعرت جورج تقريباً بالراحة. إذاً لهذا كانت كل تلك التعليقات الساخرة، وقالت: «لقد وقع حادث لكاميرتي القديمة منذ يومين، وأنا لم أستطع أن آتي إلى افريقيا من دون واحدة.»

نظر بتعجب، وسألها متحمساً: «حادث؟ ماذا حدث لها؟»

لكن بالطبع لا تريد أن تخبره عن حقيقة ما جرى، بأنهم رموا آلتها للتصوير على الطريق وحطموها. وكل ما استطاعت أن تقوله: «لقد أوقعتها.»

«أوقعتها؟»

قالت وهي تحاول أن تبدو واثقة من نفسها: «كان مؤمناً عليها.» ثم لاحظت بأنه كان يحملق بها مشككاً.

قال لها محذراً: «حسناً، تأكدي أن لا يقع أي حادث مع إحدى آلاتي للتصوير. وأضاف: «ليس هناك أي مبلغ من التأمين سيرد عنك العواقب.»

وعدته قائلة: «سأكون حذرة جداً.» وأرخى يده عن الرباط. شعرت أن قوى حيوانية تحوطه وتجعله خطيراً كأي تمساح. لقد جرّبت إحدى ردّات فعله العنيفة مرة من قبل، لكن لديها شعور بأن فقدان إحدى آلاته للتصوير سيغضبه أكثر بكثير من كيس الطحين.

أتما تعبئة الجيب بأغراض التصوير بصمت، فيما أخذ باقي أعضاء الفريق، مقاعدهم قال لها وكأنه يعتذر: «اعتاد مايكل على الجلوس في الخلف مع التجهيزات.» وهنا لاحظت جورج بأنه لم يعد يوجد لها مكان على مقاعد الجيب.

اهتزت قائلة: «كل ما كان مايكل يفعله سأفعله.» وجلست في صندوق الجيب مع الحقائب المبردة وباقي الأغراض.

استدارت كيلي وابتسمت قائلة: «هل أنت مرتاحة في الخلف، يمكنك أن تجلسي بيننا.»

أجابها لوكاس وهو يغلق الباب الخلفي عليها: «ستكون على ما يرام، أليس كذلك؟»

اعتقدت جورج بأن الرحلة بالجيب مزعجة وهي في المقعد

www.liilas.com

الأمامي، لكن كل هذا لا يقارن مع الجلوس في الخلف، في الصندوق ومع الأغراض بينما الجيب يقفز فوق كل حفرة على هذه الطريق الوعرة. بعد أن توقفوا، نزلت جورج من الخلف، وهي تحس بالألم، شعرت كأن كل عظامها قد تكسّرت.

ترجلت وحاولت أن تحرك جسدها لكي تعيد الحياة إلى عضلاتها وعظامها. وفجأة وقف لوكاس بجانبها ووضع على كتفيها الصندوق المبرّد وركيزة آلة التصوير.

قال: «هذا أبعد مكان يمكننا أن نصل إليه في الجيب، سنمشي المسافة الباقية.» ثم بدأ ينزل إلى ضفة النهر، وهو يساعد العارضات وأضاف: «خذن وقتكن أيتها الفتيات بالنزول، لا أريد أن تصاب إحداكن بأذى.»

أمسكت جورج بالصندوق المبرّد وبصندوق آلات التصوير والأفلام. ونظرت إلى الأسفل نحو ضفة الهاوية. لا يوجد أية طريقة تستطيع أن تتدبّر بها حمل كل هذه الأغراض دفعة واحدة وأن تصل سليمة. وهنا انتبهت إلى أن لوكاس كان يراقبها، وينتظر منها أن تطلب المساعدة، وضعت صندوق الأفلام على الأرض ثم حملت صندوق آلات التصوير بحذر ونزلت به إلى الضفة الثانية. ثم أعادت الكرّة وهي تتجاهله تماماً، حتى أصبحت تشعر بالحرارة وصعوبة التنفس، وانتبهت، وهي تتألم لبقع العرق التي بللت قميصها وللغبار الذي غطى بنطالها.

ولكن لم يكن هناك أي فترة للراحة. قال لوكاس: «لقد آن الأوان.» ومشى أمامها بخطواته الكبيرة مسرعاً. وشعرت أن يديها قد تقطعتا من أوصالهما ورجليها تؤلمانها من ثقل الحمل الذي ما تزال تحمله.

وقف مارك خلفها وقال: «سأحمل هذه عنك.» ثم حمل الحقيبة المبرّدة التي تحتوي على الأفلام.

ابتسمت وقالت: «شكراً.»

نظر لوكاس ثم سألها: «هل الرحلة صعبة عليك، يا جورج؟» وأسرع بخطاه مما جعلها تركض خلفه لتلحق به.

ردّت عليه: «فقط أشعر بحرارة الطقس.»

عندما وصلت بقية المجموعة، وضعت جورج صندوق الكاميرا لترتاح.

قال لوكاس فجأة: «سوف نصل إلى الموقع بعد قليل. يمكنك أن ترتاحي حين نصل إلى هناك. مارك! ناول الفتيات بعض المشروبات.» ثم فتح الحقيبة التي كان يحملها وسلّمه بعض المرطبات. كانت تود جورج لو تدورها أن تشرب، لكنها شكّت بأن كلمة الفتيات كانت تعنيها أيضاً، وهي لن تطلب منه أبداً. بدأ لوكاس بالسير مجدداً. وحملت جورج الأغراض مجدداً على كتفيها ولحقت به. وبعد ربع ساعة، كانت جورج تشعر بأنها سوف تنهار وهي تحاول أن تلحق بخطى لوكاس، وصلوا إلى بعض الصخور في مجرى النهر حيث تحول الجدول إلى خندق.

جفّ حلق جورج وأحست بأن رئتيها سوف تنفجران من شدة الحر. وكانت تفكر بالشراب الذي أعطي للعارضات وتمنت لو أنهم يعطون العمال أيضاً.

قال لوكاس: «كما لو أننا نعمل في حمام السونا، أليس كذلك؟»

ابتسمت جورج بفتور وقالت: «لا أعرف، فأنا لم أجرّب ذلك أبداً.»

www.liilas.com

«أنا جربت. إنها صعبة. والعدسات يعلوها البخار بسرعة.»

«إذاً لماذا تضيّع وقتك بكل هذه القذارة يا لوكاس؟»

نظر إليها، وغضب فجأة وقال بحدة: «البعض منّا عليه أن يعمل ليغطي مصاريف عيشه، أما أنت فما هو عذرك لكي تكوني هنا؟»

أغمضت عينيها وهي غاضبة من نفسها. فهي لم تعتد أن تخفي مشاعرها. ربما آن الآوان لها لكي تتعلم. قالت وهي تحاول أن تغير الموضوع: «تريد آلة التصوير هنا تقريباً.»

«كبداية نعم.»

استدارت جورج لتركز الكاميرا وفجأة تجمدت في مكانها، وشهرت كما لو أن الدم قد جفّ في عروقها حين رأت سحلية خضراء تراقبها من خلال فتحة بين الحجارة. وبينما كانت تحملق بها اختفت السحلية كالسهم في الظلال.

وبينما كانت آمبر ولوكاس يتناقشان بخصوص المشهد الذي سيتم تصويره. انتبهت للحركة المفاجئة وصرخت: «أفعى. لقد رأيت أفعى!» وتعلقت بلوكاس.

قالت جورج وهي تحاول أن تهدىء من روعها: «إنها سحلية صغيرة فقط.»

«كلا!» وعلا صراخها كأنها أصيبت بهستيريا وأضافت: «لقد رأيتها. إنها تحت الصخرة!»

«إقضي عليها، يا جورج، يا فتاة طيبة، فأنا كما ترين مشغول اليدين.» نظرت إليه، وهي لا تصدق ما تسمعه أذناها: «ألن نقوم بشيء مفيد اليوم.»

لقد تحداها بطريقة كان من المستحيل أن ترفض لقد بلعت ريقها، ولكن حنجرتها كانت جافة، ومسحت كفيها بمؤخرة

بنطالها. وبدأت تنحني ببطء وحملقت في الظل تحت الصخرة. وحملقت السحلية إليها. ثم بحركة مفاجئة مدت يدها، وأمسكت بها ثم انتصبت.

«إليك.» ورمتها مغمضة عينيها باتجاه لوكاس.

«حسناً يا آمبر، أرأيت؟ إنها سحلية. وقد هربت الآن ولكن ذيلها ما يزال بيد جورج.»

تمتمت آمبر وهي تبتعد: «يا للشيء المسكين.»

لمحت جورج لوكاس يحملق بها باعجاب. كانت نظرة جعلتها تهتز بطريقة لا تستطيع أي سحلية أن تفعل. وفتحت فمها وهي تبتسم ساخرة، من دون أي تحذير ردّ إليها الابتسامة. وبسرعة أشاحت بنظرها إلى ركيزة الكاميرا. لكن يديها لم تكونا جامدتين وهي تحاول أن تشد العزقة وكان قلبها يخفق بسرعة لم تعهدها من قبل.

«أنا آمل بأنك ستتمكنين من شد هذه العزقات.» قاطع لوكاس أفكارها مما جعلها تقفز ثانيةً. وأضاف: «هيا تناولي هذا الشراب.»

«شكراً جزيلاً.» وأخذته منه، وشربته.

«يجب أن تبقي نشيطة. إنه وقت سيء للشروع في العمل. إذا انتهيت، يمكننا أن نلتقط بعض الصور الفورية.»

«سأجلب الفيلم.»

كان مارك يحضر الألوان على غطاء علبة الماكياج، عندما سألته: «آسفة لإزعاجك، ولكنني بحاجة إلى علبة الأفلام.»

«علبة الأفلام؟»

قالت بتوتر: «لقد حملتها عني.»

«آه، تلك. لقد حملتها لوقت قصير.» ثم فكرّ للحظة وأردف:

www.liilas.com

«عندما توقفنا لنشرب وضعتها جانباً وأنت أخذتها مني هناك.» أجابها وهو غير مبال.

تجمدت جورج في مكانها: «كلا يا مارك، أنا لم أتوقف.»

«ألم تفعلي؟» تحرك باضطراب ثم أضاف: «آسف، يا جورج، لن أستطيع أن أعود وأبحث عنها، فعلي أن أجهز المكياج للعارضات.»

شعرت جورج فجأة بالبرد وهي واقفة تحت أشعة الشمس المحرقة، وبدأت ترتجف. «بالطبع. تابع أعمالك. أنا سأجدها.»

وقفت للحظة تنظر من حولها قبل أن تواجه الانفجار الذي لا مفر منه. ومن زاوية عينها لمحت لوكاس يراقبها. كان يبدو وكأنه قد فقد صبره. ودقت لحظة المواجهة، الحقيبة تُركت على ضفة النهر. وعليها أن تواجه لوكاس الآن.

بينما هي ذاهبة لتخبره، علمت كيف يشعر السجناء وهم يتقدمون نحو حبل المشنقة. مصير محتوم لا مفر منه.

«حسناً؟ أين الفيلم؟»

أخذت نفساً عميقاً ثم قالت: «هناك في الخلف، حيث توقفت الفتيات من أجل الشراب.»

«أنا أرى.» هاتان الكلمتان كان لهما المعنى الواضح بأنها فتاة غبية، وبأنه لم يتوقع منها أن تحسن عملها. واحمرت خجلاً من الاحراج.

«أنا آسفة.»

«أنا متأكد بأنك. ولكن ليس إلى الحد الذي ستصلين له.» قال محذراً: «أما الآن، فمن الأفضل أن تفعلي شيئاً بالنسبة للأفلام، حتى نتمكن من انجاز عمل اليوم.» ثم استدار ومشى باتجاه الظل حيث جلس وأسند ظهره إلى جذع شجرة، وأغلق عينيه.

أزاحت جورج عينيها عنه ونظرت باتجاه مجرى النهر، وهي تحس بالصمت المفاجيء الذي هبط على كل اعضاء الفريق. عندها، رفعت رأسها عالياً، وبدأت تمشي راجعة من حيث أتت.

لم تبطيء، أو تحرك رأسها شمالاً أو يميناً، حتى وصلت إلى انحدار النهر وحجبها عن نظرهم. عندها، وعندما فقط سحبت منديلاً من جيب بنطالها لتمسح أنفها. إنهم مجموعة من النسور، مخلوقات مخيفة، رؤوسهما فارغة وأكتافهما محدودبة، خرجت من وراء أشجار كثيفة لإثارة الإضطراب.

بدأت تركض وهي غاضبة من مارك، من لوكاس، ومن نفسها لأنها وضعت نفسها في هذا المأزق. كان يجب أن لا تدع هذه الحقيبة تفلت من يديها أبداً. في النهاية، جثت على ركبتيها، وهي تتنفس بصعوبة وقلبها ينبض بسرعة. لم تشعر يوماً بمثل هذا الإرهاق.

كيف يمكن أن تكون بهذا الغباء؟ ثم جلست على أعقاب قدميها، وبدأت تضرب يديها على ركبتيها وهي شبه يائسة لقد علمت أنها يوماً ما ستسخر من نفسها لعملها هذا. أما الآن. أخذت قبعتها عن رأسها وغطتها بالماء، محاولة أن لا تفكر بما يمكن أن يوجد داخل الماء، ثم وضعتها على رأسها. وعاودت بحثها عن الحقيبة.

لكنها لم تبحث مطولاً. إذ إنها وجدتها ملقاة في ظل إحدى الصخور. حملتها وبدأت الرجوع لتواجه لوكاس.

بدت المسافة وكأنها لن تنتهي قبل أن تراهم مجدداً. وحين وصلت، كان لوكاس ووالتر يتناقشان بحدة.

منتديات البرامج العربية
www.barmjia.com

ذهبت مباشرة نحو آلة التصوير وبدّلتها بواحدة خاصة بأفلام فوريّة.

قال والتر مقترحاً: «من الأفضل أن تتناولي شراباً، يا جورج.»

أجاب لوكاس: «بعد حين، لقد أضعنا ما يكفي من الوقت.»

وقفت كيلي بطريقة ملوكية على السجادة حيث كانت تجلس، وهي مغطاة بغطاء قطني خفيف. ثم أزاحتها عنها لتكشف عن زي محلي يتدلى على خصرها وهو مزين بالبراغي والعزقات. ومشت منتصبة مستقيمة نحو الصخرة. عندما تمددت عليها اقتربت سوزي وأخذت حذاءها وتركتها، مثل الدروميدار، لتنتظر قدرها بين فكيّ التنين الخرافي وبدأ لوكاس بإعطائها تعليماته ويلتقط الصور الفورية، وكان يناول الصور لجورج واحدة تلو الأخرى لكي تظهرها.

كانت تساعده، تتفحص الضوء وتقوم بتبديل الأفلام كلما انتهى من واحد.

أخيراً اكتفى لوكاس بما حصل عليه، ونهضت كيلي عن الصخرة. «هذه الصخرة قاسية جداً.» كان هذا التعليق الوحيد لديها، ثم مشت باتجاه السجادة. وجدت جورج نفسها معجبة بطريقة تصرف كيلي المحترفة. إذ إنها أستوعبت ونفّذت ما طلب منها بحذافيره. من دون أي تأفف من كل هذه الظروف الصعبة.

قالت جورج: «هذه طريقة صعبة لتحصيل العيش.» ثم بدأت تلملم الصور والأفلام وتضعها في الحقيبة المبرّدة.

سألت كيلي وهي تتثاءب: «وهل هناك طريقة سهلة؟ آه، يا إلهي، هذه الشمس محرقة جداً.»

«أجل.» وافقت جورج ثم تجهم وجهها بعد أن شعرت فجأة بصداع قوي وألم في عينيها من الشمس.

نظرت كيلي نحوها مهتمة وسألتها: «أتشعرين بشيء؟ خذي، اشربي من هذا، لا بد أنك عطشانة الآن.»

أمسكت جورج المرطب شاكرة. لم يكن بارداً، ولكنها رطبت به حلقها. وسألت: «إذاً، ماذا بعد؟»

قال لوكاس وهو يقف خلفهم: «سنرجع للمخيم. البعض منّا يستحق أن يرتاح.» ثم حمل الصندوق المبرّد ومشى.

قالت جورج: «سأحمل هذا. إنه عملي.»

استدار نحوها وقال: «يا للخسارة. يا ليتك فكرت بهذا من قبل.»

«أنا لن أقوم بالخطأ نفسه ثانية. أرجوك أن تترك الصندوق لي.» عندها تركه لوكاس قرب قدميها.

«إذا كنت متأكدة. أنا لا أريد أن أسبب لك المزيد من المتاعب.»

«متأكدة تماماً.» وبدا صوتها وكأنه يرتجف، حينما رمقها بنظراته المطولة. ثم هزّ كتفيه ومشى بعيداً.

«اواه!» قالت كيلي باحساس وسألت: «ما الذي جعله يتصرف هكذا؟»

«أختاري من بين ثلاثة احتمالات.» تمتمت جورج. ثم افرغت علبة الأفلام من محتوياتها ورمتها داخل الصندوق.

قالت كيلي: «تعالي. سأساعدك.»

ابتسمت جورج، وشكرت الفتاة على عرضها وقالت: «ربما عليّ أن أقوم بأعمالي وحدي حتى النهاية، أليس كذلك؟ ولكن شكراً. أنا أقدر عرضك هذا.»

www.liilas.com

كان لوكاس يسير مع والتر. بينما بدأت جورج بتفكيك آلة التصوير. ثم وضعتها داخل الصندوق الذي احضره لوكاس من الجيب ولكن فيما كانت تعمل، اختفى هو ووالتر. وحتى لا تقع في الخطأ نفسه مرتين تفقدت الأغراض كلها. ثم جمعت معداتها ومشت وهي محملة بكل هذه الأثقال باتجاه الجيب.

في الوقت الذي ظهر لها الجيب في أعلى المنحدر، رأت لوكاس ووالتر يجلسان بكل ارتياح في مقاعد تحت ظل الأشجار، وبدأت جورج تفقد شعورها تدريجياً. وظهرت ضفة النهر أمامها، وكانت متأكدة بأنها لن تتمكن من الوصول إلى الجيب. ولم تهتم لذلك.

ولكنها انتبهت بأن الحقائب قد أخذت منها، وبأن الوزن لم يعد موجوداً. ولكن هذا لم يغير الوضع لأن رجلها فقدتا التوازن ونظرها فقد التركيز.

«جورج!» بدا الصوت بعيداً جداً. «جورج، هل أنت بخير؟» ولكن هذا لم يكن صحيحاً لأنها شعرت بيديه حولها. وبينما كان يحملها، وقعت قبعتها. وآخر ما فكرت به قبل أن تغيب عن وعيها بأنه يجب ألا تقع قبعتها.

الفصل الرابع

«جورج! جورج!» كان الصوت يبدو ملحاً وعرفت جورج بأنه يجب أن تستجيب. «إنها تسترجع وعيها. بربكم دعوها تتنفس، جميعاً.» قامت جورج بمجهود كبير حتى استطاعت أن تفتح عينيها. وللوهلة الأولى شعرت بالراحة لأنها ما تزال مستلقية. عندها اجتاح لوكاس تفكيرها ومعه ذكرى مأساة آخر أربع وعشرين ساعة أمضتها. حاولت أن تجلس، لكن يده الموجودة على كتفها منعتها.

«حاولي أن تبقي هادئة لدقيقة. هيا، حاولي أن تشربي هذا.» ثم وضع زجاجة تحتوي على شيء بارد على شفتيها وبدأت تبتلع السائل بصعوبة، ثم سعلت فغضت وبدأت تحاول أن تتنفس.

«إلهي، أعطني القوة!» قالت، ثم ضغطت على ظهرها. توقف السعال. استرخت بضعف عليه، رأسها ملقى على كتفه، يده تحيطها بها وتضمها إلى صدره. وللحظة أحست أنها مسرورة وارتاحت هكذا، مع أنها تمنّت لو يرجع لها نشاطها. سألها: «هل تشعرين بتحسن؟» كانت ستضحك لو كان لديها القوة.

عندما لم تجبه، نظر إليها، وعيناه الرماديتان المهتمتان ترمقانها عن قرب مما جعلها تذوب بهما. إن نظرته المشككة والحادة جعلتها تستعيد وعيها.

حاولت أن تبتسم. وقالت بصوت خافت: «هذا رائع! ضربة

www.liilas.com

شمس خفيفة، رئتي امتلأتا ليموناضة، وظهري أصيب برضوض. ما عدا هذا أنا أشعر...» ثم أشارت بيدها وتابعت: «...أشعر بأني على أفضل حال. عليك أن تجربها.» ثم وقفت ورفعت شعرها عن وجهها وانتبهت أنها فقدت حماية نظارتيها. ثم بدأت تتطلع من حولها متسائلة بحيرة، أين فقدتها.

بطريقة ساخرة أخرجها لوكاس من جيب سترته وقال: «إنها في أمان.» ونظفها بمنديله. وأضاف: «أتصور أن هذا ما تبحثين عنه؟» كان يقف ملاصقاً لها ثم وضع النظارة على عينيها وقال: «أنا أعلم أنك لا تستطيعين البقاء من دونها.» ثم ابتسم.

عندها ركزت جورج نظارتيها جيداً وأحست بثقة أكبر خلف هذا الستار. ثم بدأت تبحث عن قبعتها التي كانت ما تزال في مجرى النهر.

تابع لوكاس تحديقه إليها، تنهد وقال متمتماً: «كنت أمل أن تستطيعي البقاء من دونها. إجلب القبعة للآنسة، يا مارك. يمكن عندها أن نكمل طريقنا إلى المخيم من دون أن تحل بنا مصائب أخرى. ثم أمسك بيد جورج وقادها نحو مقدمة الجيب. «إصعدي.»

قالت معترضة: «سأجلس في الخلف.» لكن لوكاس هز برأسه. «كلا يا عزيزتي. أعتقد بأن الجلوس في المقدمة أسهل لي ولك. لأنك تستطيعين أن تمدّي رأسك من النافذة إذا شعرت بالغثيان.»

«لن يحدث لي شيء...» ولم يزعج نفسه. بمتابعة النقاش. وحملها بين يديه ووضعها على المقعد الأمامي. كان رأسها

يؤلمها كثيراً لكي تجادله، لذلك ارتخت في مقعدها وأغمضت عينيها. ولكنها فتحتهما وهي مذعورة. «آلة التصوير...»

«إنها بحالة جيدة لا تخافي.» ثم ابتسم لوكاس وأضاف: «لقد أمسكتها قبل أن تفلت من يدك.» ثم أغلق الباب بقوة.

في طريق العودة، ظل لوكاس صامتاً مما جعلها تتعجب إذا كان قد قرّر أن يعيدها إلى نيروبي من دون أي تردد. فهي لم تحسن التصرف وسببت له الكثير من المتاعب مما يعطيه أكثر من سبب ليتخلص منها. في الحقيقة فقد كانت مساعدة فاشلة له، وفي صميم قلبها لا تلومه إذا قام بطردها. وأحست فجأة بألم في حنجرتها، وبأن الدموع تكاد تتساقط من عينيها عندما فكرت بخسارة الطعام، والمسلكين المشردين الذين كانوا سيسكنون فيه. لقد خيبت آمالهم. اللعنة على لوكاس. وعلى تصرف أبي.

«النافذة على يسارك.» حملقت جورج بلوكاس من دون أن تفهم قصده. «يبدو وجهك أخضر. وأنا أريد أن أتأكد بأنك تعرفين مكانها.»

«أخضر؟» ضحكت جورج وتابعت: «ما تراه هو الكريم الواقي من الشمس.» وتابع الجيب سيره إلى أن وصلوا وتوقفوا في ظل شجرة. لم تنتظر جورج أن يساعدها لكي تنزل، فتحت الباب وقفزت. ولثانية بدا وكأن ركبتيها لن تصمدا وأنها ستقع. ولكن كرامتها جعلتها تصمد كي لا تدعه يراها ضعيفة. ثم فتحت الباب الخلفي للجيب وبدأت تنزل الحقائب. حاولت أن تصل لركيزة آلة التصوير، ولكن لوكاس أخذها من يدها فوراً.

«أنا عادة أحملها. كان عليّ أن لا أتركها هناك لك أيضاً.» ثم

www.liilas.com

استطرد: «إذا أعدت الكرة، اتركيها فسيكون هذا جزائي وعلي أن أرجع وأحضرها.»

كان هذا أقرب ما يكون لإعتذار يمكن أن تحصل عليه. قالت له: «كما تريد.» وشعرت فجأة بسعادة لأنها فهمت بأنه يمكنها أن تبقى. أضافت وهي مسرورة: «أيها الرئيس.»

سمعت والتر خلفها يضحك. سأله لوكاس: «هل هناك شيء يضحك يا والتر؟»

«كلا. لا شيء.» ثم نظر إلى جورج وضحك ثانية. وأضاف: «أيها الرئيس.»

أمسكها لوكاس من يدها وسحبها بعيداً عن الجيب وقال لها: «تعالي، عليكما أن ترتبا الصور حتى يتمكن والتر من أخذها إلى نيروبي معه. لنرى إذا كان سيجد هذا الأمر مضحكاً.»

كان عليها أن تلحقه، وكانت تركض خلفه كي توازي سعة خطواته. «هل سترسل الأفلام بعد انتهاء التصوير كل يوم؟» سألته، ونفسها يكاد ينقطع حين وصلوا إلى خيمة المعدات: «هذا يكلف كثيراً.»

نظراته كانت قاسية جداً وقال: «قلقة على أموال والدك؟ هل هذا هو السبب الذي يجعلك ترتدين هذه الثياب الرخيصة؟»

أعادت جورج الأفلام غير المستعملة إلى البراد، وهي تأخذ وقتها لتستغل البرودة التي لفحت جسمها. قالت له بحدة وهي منزعجة من تعليقه على ثيابها: «هل تظن بأن أحداً يلاحظ الأمور مثلك؟»

حملق بها وقال: «مضحك جداً. تعالي الآن. أريد أن أسلم هذه الأشياء لوالتر وعندها يمكننا أن نتناول كوباً من

الشاي.» ثم مدّ لها يده، وبعد تردد بسيط أمسكتها، مما سمح له بأن يرفعها على قدميها. راح يتفحصها بدقة حتى بدأت تشعر بالخجل من شدة نظراته. «تبدين أحسن بكثير، يا جورج. لكن أخبريني، هل ترتدين دائماً ملابس كهذه؟»

كانت جورج تعلم بأنه من السخف أن تغضب لملاحظاته. لأنها جلبت كل هذا لنفسها. ولكن جزءاً منها كان سعيداً، لأنها تمنت أن ترى هذه التعابير في نظراته التي أغضبتها كثيراً عندما التقيا في المرة الأولى. ولكن، وبأسف قليل، رسمت ابتسامة عريضة على فمها وحاولت أن تستعيد شخصيتها. سألته بحماس: «آه، قطعاً! فأنا أؤمن بعملية التدوير، أأنت كذلك؟» وتابعت: «لو أن هذه الثياب رميت فإنها ستملأ حفرة ما في الأرض حتى تتفاعل ومن ثم تصعد إلى الأرض على شكل بترول...» ثم سحبت يدها من يده وتابعت سيرها إلى خيمتها.

«ألا تظنين بأنك تبالغين بوصف الأمور؟» سألها لوكاس.

«ماذا تقول، يا لوكاس، أنت لست أبله. فأنت تعرف كما أنا أعرف عن مشكلة ارتفاع درجة الحرارة على سطح الأرض. لقد أمضيت وقتاً طويلاً لأقنع أبي بمنافع التدوير، وأخيراً اقتنع. وبدأ تدوير كل فضلات الأوراق في مكاتبه، وهو يستعمل أضواء ذات طاقة خفيفة، يوجد أشياء كثيرة يمكننا أن نفعلها لنساعد...»

«حسناً!» وخطا لوكاس أمامها مما دفع جورج لتتوقف وتابع قائلاً: «أنا أعد بأنني لن أعلّق مجدداً على ثيابك بشرط واحد.»

«آه؟ وما هو شرطك؟»

«أن تتخلي عن هذه القبعة البشعة.»

www.liilas.com

ابتسمت جورج وشدّت قبعتها أكثر على رأسها. «آه، لا بأس يا لوكاس. علّق ما شئت، فأنا لا أمانع أبداً. كلما أقنعت شخصاً، كلما تحسنت الأمور أكثر.»

انحنى نحوها قائلاً: «يا إلهي، أنت عنيدة جداً!»

لم تخجل وقالت له: «وأنت كذلك!» ثم حدّقا ببعضهما البعض للحظة طويلة، ورحب لوكاس بتدخل والتر بارتياح ظاهر.

«هاك الأفلام. هل سيكون مارك على ما يرام وهو يقود الجيب الآخر في طريق العودة.»

«ليس هناك من مشكلة، سألتقط البريد وصحف نورفولك، أيضاً.»

اهتزت يد جورج وهي تصب الشاي. «صحف؟»

سألتها كيلي بكل اهتمام: «هل ما تزالين تشعرين بالتعب، يا جورج؟» وتابعت: «هاتي، دعيني أفعل هذا.» سكبت كيلي الشاي وناولت كل شخص كوبه.

«آسفة. أنا تعبة قليلاً.» اعتذرت جورج وهي تفكر بما سمعت.

«لست تعبة لدرجة تمنعك من المجيء غداً لرؤية موقع التصوير. آمل هذا.» كان هذا تحدٍ جديد يفرضه لوكاس عليها.

حاولت جورج أن تخفي عدم رضاها. وقالت: «كلا. بالطبع لا. إلى أين سنذهب؟»

«هناك قرية على بعد أميال قليلة من قمة الجدول. سنستعمل الموقع لتصوير آمبر بدور ملكة افريقيا البيضاء. أريدك أن تذهبي إلى هناك في الصباح الباكر وتحضري الموقع.» ثم توقف للحظة وأردف: «بالطبع إذا كان باستطاعتك أن تتدبري أمرك.»

أجابته جورج: «سأفعل ما بوسعي.»

«هذا ما عنيته بالفعل.»

لقد قاومت رغبة اجتاحتها لترميه بكوب الشاي ثم وقفت.

«إذا كان من الممكن أن تمنحني دقائق قليلة لكي أنعش نفسي؟»

«فقط دقائق قليلة.»

الخيمة كانت حارة من دون هواء. لم يكن لدى جورج رغبة لتبقى فيها أكثر مما هو ضروري. ثم تعرت من ثيابها واغتسلت بأسرع ما يمكنها، وهي متوترة من فكرة وصول لوكاس فجأة.

تفحصت محتويات حقيبتها وتناولت سروال برمودا قصير، وارتدته وارتدت فوقه قميصاً رجالياً أبيض فضفاضاً ومتدلياً. كان من الصعب عليها أن تعرف من دون مرآة ما سيكون تأثير ثيابها عليه.

سرّحت شعرها بالفرشاة، مستمتعة بشعور من الراحة لأنها تحررت من القبعة ودبابيس الشعر. «هل أنت محتشمة؟» سألها لوكاس، وصوته صادر من مدخل الخيمة. ولم ينتظر جوابها.

بذعر مفاجيء بدأت جورج ترفع شعرها عندما شعرت بفتحة الخيمة ترفع وضوء الشمس يغرق داخلها. لفت شعرها بسرعة، وحاولت أن تعقده كما هو وتثبته بالدبابيس.

«أرجوك توقفي عن إضاعة الوقت. فأنا لا أريد أن أقود قرب الأدغال بعد الظلام إلا إذا كنت مضطراً.»

ارتجفت يدا جورج. ووقعت الدبابيس من يدها ونزل شعرها على أكتافها. «الظلام؟ ولكنها الرابعة والنصف فقط.»

خيم هدوء مفاجيء على لوكاس وراقبها متفحصاً. «سيحل

www.liilas.com

الظلام حوالى السادسة، نحن هنا عند خط الإستواء.» ثم أمسك بشعرها ومرره بين أصابعه وأردف قائلاً: «كم هو جميل. مثل أشعة الشمس عند الغروب. لماذا تخبئينه؟»

استعادت جورج سيطرتها على الدبابيس وابتعدت عنه فجأة. «إنه يعيق تحركاتي.» وأمسكته كلياً وربطته ثم وضعت الدبابيس فيه. ولبست نظارتها ووضعت قبعتها على رأسها.

علقت آلة التصوير حول عنقها ولحقت بلوكاس إلى الجيب. ففتح لها الباب وهو يبتسم.

قالت وهي تشعر بالإنزعاج: «أنا لا أعتقد بأنك كنت تفتح الباب لمايكل. أنا لا أتوقع منك أية تنازلات، إذا أردت، يمكنك أن تعاملني بالطريقة نفسها.»

«مثل مايكل؟» بدا وكأن هذا الاقتراح قد أضحكه.

«نعم، مساعدك الأخير، الشاب الموجود في المستشفى.»

«ذلك سيكون صعباً جداً.» ثم ابتسم بكسل وقال: «لم يكن لمايكل التأثير نفسه عليّ مثلك أنت، يا جورج.» شعرت بحرارة تغمرها فاحمرت وجنتاها وأحشت برعشة في جسدها كرعشة الأحاسيس التي أيقظها بها من قبل. فألمّ بها شعور مُلح لمعاقبته. وتنهدت جورج. «ولا أن يفعل هذا...» ولامسها قبل أن يتسنى لها الوقت للابتعاد. لم يقم بأي حركة لكي يقربها، أو يصدّها، ولكن قبل أن يرفع رأسه بدأت بالتجاوب. خطا لوكاس خطوة إلى الخلف وبدأ يتأملها وقال متمتماً: «سأتذكر. أنا لا أنسى أي وجه.» ثم أشار إلى الجيب وسألها: «أيمكننا أن نذهب؟»

لم تتحرك جورج. ولكن إحساساً مفاجئاً انتابها بأن حرب شوارع بدأت بينهما وقد تركتها بحالة متوترة. عرفت بأنها

هي التي بدأتها، ولكنها الآن فقدت سيطرتها على مسار هذه اللعبة ولم تعد تعرف كيف تتصرّف.

«حسناً؟» كانت عيناه تضحكان، وسرعان ما أن تسلقت جورج الجيب، صعد لوكاس بجانبها، متظاهراً بعدم الانتباه لما أصابها. أدار المحرك وبدأ الجيب بالقفز على الطريق. وأخذ يشرح عن التصوير كما لو أن شيئاً لم يحدث بينهما. وحاولت جورج أن تعيد سيطرتها على زمام الأمور وهزت رأسها.

«لوكاس؟» نظر باتجاهها. «بالنسبة لكوني جورج.»

«إنها ملاحظة سخيفة، برأيي.»

تجاهلت جورج وقالت: «أنا عنيت ما قلته الآن. أنا أتوقع منك معاملتي كما لو أنني مايكل.» وكانت صارمة جداً في كلامها.

قال ساخراً: «فقط، يجب أن أدعوك جورج.»

مع أن وجنتيها كانتا تحمران خجلاً، أرادت أن توضح له هذه النقطة فقالت: «أنت تعرف ماذا أعني.»

«آه، نعم. أعرف ماذا تعنين.» أضاف: «يجب عليّ أن لا أتحرّش بالبنات اللواتي يضعن نظارات. أنا لا أعتقد بأن والدك سيوافق. هل ستخبرينه بأننا نتشارك الخيمة نفسها؟»

«هذا لا يعنيه...» لم تكمل كلامها. ربما هذه هي أفضل طريقة فقالت وهي تشعر بالحيرة: «كلا. أنا لا أعتقد بأنه يوافق أبداً.»

قال مقترحاً: «ربما يمكننا أن نرجع لعملنا، إذاً.» وتابع قائلاً: «صباح الغد أريدك أن تجلبي التجهيزات للموقع ثم ترجعيها.» ثم نظر إليها قائلاً: «هل تحسنين القيادة؟»

www.liilas.com

«أجل، بالطبع. أتريدني أن أعود وأحضرك بعد أن أنتهي من تركيب الأجهزة؟»

«كلا. سيقود مارك ووالتر الجيب الآخر من نيروبي الليلة، وهذا شيء مريح. لا أحب أن أكون هنا من دون سيارة احتياط.»

«إذاً؟ ولماذا أنت؟»

«وقع لمايكل حادث وهو يقودها، ولقد أذى نفسه أكثر من اللازم روفر.»

سألته جورج، والاهتمام بادٍ عليها: «هل تأذى كثيراً؟»

«لا شيء لا يمكن إصلاحه. وفي الوقت الحاضر عليه أن يستلقي ويفكر بعدم شرب الكحول عندما يقود السيارة. الحمد لله بأن هذا لم يحدث له في بريطانيا لأنه بالتأكيد كان سيخسر إجازة السوق.»

«ولد سخيف.»

«على الأقل نحن نتوافق على هذه النقطة. والآن، ها هي القرية.»

القرية كانت مؤلفة من عدة أكواخ مستديرة. وبينما كان الجيب يمر، اختبأ الأطفال الصغار خلف أمهاتهم، بينما زمرة من الفتيان مع مجموعة من الكلاب لحقوا بالجيب. كانت آلة تصوير جورج جاهزة، قبل أن يتوقفا.

تجمع الفتيان حول لوكاس عندما نزل من الجيب وكانوا يدعونه باسمه وبحماس ظاهر. كانت جورج تنظر باندهاش بينما بدأ لوكاس بتوزيع الحلوى عليهم. وبدأت تدرك هذه الناحية غير المتوقعة في طبيعته.

«لوكاس.» ولفتت انتباهه للأطفال. اقترب منهم ولكنهم

التصقوا أكثر بأمهاتهم، عندها جثا أمامهم فاقتربوا نحوه وأخذ كل منهم قطعة حلوى واختبأ مجدداً.

اقترب من لوكاس رجل عجوز كان يرتدي ثياباً قديمة لكنها نظيفة، ثم ألقى عليه التحية. ونزلت جورج من الجيب وهي تتمنى لو أنها كانت أطول.

«جامبو، منزي.» حيّت الرجل العجوز بكل أدب. عندها أخذها لوكاس ليريها الموقع الذي سيتم التصوير فيه.

سألته: «أين الدواليب؟»

«سيحضرها والتر معه من نيروبي هذه الليلة فنحن نريد أن نتأكد من حصولنا على ما يلزم. القرويون سوف يقايضونها مقابل إسمنت لبناء مدرسة.»

«سألت جورج وهي مندهشة: «سيبنون مدرسة هنا؟»

«هل تجدين هذا مفاجئاً؟»

«أحب أن أرى. هل تظن بأنهم يسمحون لي بإلقاء نظرة؟»

تنهد لوكاس. «أنا متأكد بأنهم سيكونون مسرورين، ولكن إذا كان من الممكن أن تعيريني انتباهك للحظة.» ذكّرها بالعمل، وبدأ يشرح لها كيف يريد الموقع أن يكون، كان يرسم على التراب بواسطة عصا ما يريده على الموقع. كانت جورج تنسخ المخطط على دفترها كما تسجل جميع المقاسات. عندما انتهت كان لوكاس قد اختفى.

وجدته جالساً خارج أكبر كوخ بجانب أكبر الرجال سناً في القبيلة والذي أشار لها بأن تجلس بجانبه. جلست القرفصاء على السجادة، وهي مسرورة لأنها لا ترتدي تنورة.

تقدمت منهم فتاة وناولت كلاً منهم كوباً يحتوي على مشروب بني اللون، لزج. شكرتها جورج ثم رمقت الكوب.

www.liilas.com

ووجهت نظرة تساؤل باتجاه لوكاس ولكن وجهه خالٍ من التعبير ورفع كوبه ورشف من محتواه. كانت نظراته تحدياً صامتاً لها لأن تفعل مثله، لكن جورج شعرت بمعدتها تثور من فكرة شرب شيء تجهله في كوب مشقق قذر.

رفعت الكوب نحو فمها وهي خائفة وشربت. كان شاياً، قوياً وحلواً جداً ممزوجاً بالحليب المغلي. قالت بتقدير للرجل العجوز الذي سر كثيراً: «مزوري، سانا! إنها جيدة جداً.»

انتظر لوكاس إلى أن أنهت شرابها ثم نهض وسار أمامها، لحقته بعد أن ودّعت العجوز والفتاة.

عندما صعدت إلى الجيب وبدأ بالعودة على الطريق الوعرة، أحست جورج بالم في معدتها من الشاي الذي شربته وبدأت تتأفف.

ناولها لوكاس من خلف مقعده علبة ليموناضة باردة وقال: «خذي، هذا سيساعدك.» وما إن فتحت العلبة حتى تطاير منها الشراب فوق قميصه. تمتم لوكاس: «أنا لا أصدق هذا!» ثم صرخ: «أي نوع من الكوارث أنت؟»

لم تهتم لتأنيبه القاسي. شربت المرطب وحالما حلت نكهته مكان نكهة الشاي بدأت ترتاح من الألم.

«أنا آسفة بالنسبة لقميصك.» استطاعت أخيراً أن تعتذر منه.

«وكذلك أنا.» ثم أضاف: «ما هو السر الموجود فيك الذي يجعلني أتصرف كوحش؟»

ردّت عليه: «إنه سحري. أو اختياري المناسب لملابسي!»

ثمّ هزّ برأسه قائلاً: «يوجد شيء... ولكن لا عليك. هل رأيت شيئاً مماثلاً لذلك؟»

نظرت جورج من النافذة لترى الشمس قرصاً كبيراً أحمر

تختفي خلف التلال البعيدة، وفي الأسفل في مجرى النهر، مجموعة من الزرافات تشرب الماء.

«لا. إنها جميلة.»

«نعم، إنها شيء رائع.» ثم توقف برهة وراح يتأملها مضيفاً: «الآن، لو لم تكوني جورج في هذه اللحظة، لو كنت جورجيت، لما ضيعت لحظة مميزة كهذه أبداً؟»

«ضيعت؟ كيف يمكن أن يكون النظر إلى كل هذه المناظر مضيعة للوقت؟»

مدّ لوكاس يده من خلف المقعد وابتسم قائلاً: «هل تريدين فعلاً أن تعرفي؟»

«أنا لا أعتقد...» ثم توقفت عن الكلام حين أحست بأنه لن يتوقف عن تحرشه.

«أولاً، سوف أرمي هذا الشيء القبيح. هكذا.» ورفع القبعة عن رأسها ورماها إلى خلف الجيب.

«لوكاس!» حاولت أن تعترض، ثم أسندت نفسها إلى باب الجيب وهي تتهرب منه.

قال وهو يبتسم: «ثانياً، أنا دائماً أفترض بأنك جورجيت، بالطبع، يجب أن أنزع هذه الدبابيس الواحد تلو الآخر.» وحلّت يده شعرها وسقط على كتفيها ولمع كأنه وهج النار عند الغروب. ثم أخذ خصلة منه ولفّها حول كفه وشدّها نحوه. «إنني أتعجب، لماذا امرأة مثلك تخبىء كل هذا الجمال والعظمة؟»

«لوكاس! توقف.» وتوسلت إليه وكان جسدها يهتز وهو يضايقها بمغازلته. ولكنه أكمل ونزع نظاراتها عن وجهها وبدأ يتأملها.

www.liilas.com

«وعندها...» أكمل كما لو أنها لم تعترض. لمس خدّها ومرر إبهامه على وجهها، ثم قربها منه. تنهدت جورج عندما بدأ يقترب وجهه نحوها. وقبل أن تعترض انتهى كل شيء ثم ابتسم لها ساخراً.

«لكنه، بما أن جورجيت هي جورج وترغبين في أن تعاملي تماماً مثل مايكل.» وأضاف وهو يسخر منها: «ومايكل كان ليلكمني لو تجرأت وتحرشت به هكذا.»

«أنا أشك.» قالت جورج، وهي تحاول أن تبدو كما لو أنها لم تتأثر ثم أضافت: «أنا أشك كلياً بأن مايكل يضع دبابيس شعر.»

ابتسم بهدوء، وقال فجأة: «هذا منطقي.»

أخيراً تركها وأدار المحرك وقال: «آن أوان العودة. أظن بأن الآخرين قد بدأوا يقلقون عليك.»

بدأت جورج تفكر، وهي تحاول أن تسيطر على نبضات قلبها المسرعة. هذا الرجل مليء بالسحر عندما يريد أن يظهر فتنته، وهي كادت أن تستسلم له. إنه لمن غير العدل أن ترغب به الآن وهي متأكدة أنها لا تحبه بل تحتقره. ثم رفعت شعرها وبحثت عن دبابيسها التي أسقطها لوكاس، ولكن أرض الجيب كانت مظلمة فلم ترها. عندها تركت شعرها يتدلى، وبدلاً من ربطه وضعت قبعتها مجدداً على رأسها.

أنار لوكاس أضواء السيارة الأمامية وعندها انتبهت جورج كم خيّم الظلام على الكون فتمسكت بمقعدها بتوتر.

سألته: «لماذا اخترت هذه المناطق لتصور تقويمك؟» وكانت تحاول أن تبعد عن خيالها فكرة الظلام في الخارج. «كان بإمكانك أن تختار أماكن أكثر أماناً.»

«أكثر أماناً؟» ردّ لوكاس وهو يهز رأسه. «أعتقد هذا، ولكن يجب أن يكون شيئاً سخيفاً. السيارات تصل إلى أماكن يصعب حتى على الإنسان أن يصلها. شيء كهذا.» ثم نظر نحوها. «إذا كنت تعتقدين بأن هذا المكان صعب، كان يجب أن تكوني في فنلندا.»

«فنلندا؟ وما هو المخيف هناك؟ ضوء النهار يظل ساطعاً تقريباً.» ثم انتبهت. «هل تعني الفتيات... على الثلج؟»

«يمكن أن نلبسهن معاطف فرو، ولكن نسبياً، أجل.» ولمحت بياض أسنانه يلمع في الظلام.

كبحت غضبها من نقده الصامت وقالت: «أنا أدرك بأنك تعتقدني فتاة رقيقة، لكن أنا عادة لا أغيب عن الوعي أو أشعر دائماً بالغثيان يا لوكاس، ولكن هذا النهار كان طويلاً وشاقاً.»

«أنت لست طرية العود يا جورج. أنت أشياء كثيرة، ولكن ليس هذا، فكل يوم هنا سيكون متعباً وشاقاً. هل تريدين حقاً أن تبقي؟»

«ماذا؟» تثاءبت جورج وقالت: «آه، نعم. يجب أن أبقى. ليس لدي أي خيار.»

www.liilas.com

الفصل الخامس

«لماذا؟»

كان هناك استفهام مريب بسؤاله مما جعل جورج تتريث وتحاول أن تسترجع تركيزها فرددت: «لماذا؟» وأجبرت نفسها على التثاؤب لكي تعطي نفسها وقتاً للتفكير.

«لماذا ليس لديك أي اختيار؟» كان صوت لوكاس جاداً، وخطراً بعض الشيء.

فأجابت: «آه! الآن أدرك إلى ماذا تريد أن تصل.» وضحكت ضحكة ناعمة وأردفت: «إنه أبي. يريدني أن أتعلم كل ما بوسعي منك...» ثم ركزت على نظراته الزائفة وأضافت: «فهو يعتقد بأنك مصور ماهر.»

سألها بمرح وبلهجة ساخرة: «ولكن أنت لا توافقين؟»

«آه، كلا!» وقطبت حاجبيها قليلاً. «لا، هذا غير صحيح. ما أعنيه، أجل، أنا أوافقه رأيه.» ونظرت نحوه بعينين مليئتين بالاعجاب والتقدير. «أعتقد بأنك رائع.»

«أنت تزيدين من غروري، يا جورج، لو لم يكن هناك، في الحقيقة، سرّ في الأمر.» وابتسم لها.

«حسناً، بالطبع كنت أفضل أن أصور نوعاً آخر من الصور. هل والدي يعلم حقاً، بأن تقويمه يحتوي على كل هذه الفتيات؟»

«أنا أتصور ذلك. فنحن ننتج النوع نفسه منذ سنوات.» كان لوكاس واضحاً جداً. «أنت تدركين بأن عملنا هذا ليس رخيصاً، وكثير من الناس ينتظرون صدوره سنوياً. ونحن

نواجه كثيراً من الصعوبات كل سنة لكي نصدر عملاً متكاملاً. ولا نبعث بالتقويم إلا للأشخاص المهمين. إن إنتاجنا هذا لن تشاهديه معلقاً على جدران الحوانيت.»

تجاهلت جورج حديثه وقالت: «أنا متأكدة بأنه يمكنني أن أجد موضوعاً قيماً أكثر.» وأكملت حديثها بجدية: «ربما آن الأوان لكي نتكلم عن مشكلة البيئة. وما هو رأيك بمشكلة الحيوانات المهددة بالإنقراض في الجزر البريطانية.»

رفع حاجبيه الأسودين قليلاً وقال: «إذا استطعت أن تقنعي والدك، أنا سأفعل ما بوسعي بالتأكيد.» وأضاف محذراً: «لكن سأصر على أن تأتي معي بالطبع.»

سألته جورج بغضب، واندهاش: «كمساعد لك؟»

«كلا. أريدك معي لكي تزعجي الحيوانات التي سنصورها.» ثم ضحك بسخرية.

مضى وقت، وأصبحت المسافة قصيرة، وبدأت جورج تشعر بقليل من الراحة. ولكن هذا الشعور لم يدم طويلاً، إذ حالما وصلا إلى المخيم، أوقف لوكاس السيارة بسرعة ونزل من الجيب وتركها خلفه لتتدبر أمرها بنفسها.

ظلت جالسة في الجيب. كانت تشعر بالأمان. ولكنها الآن تخشى أن تقطع المسافة المظلمة، التي تقع بينها وبين الخيمة المشتركة. كان عليها أن تتحرك. كان عليها أن تنفذ أحد أمرين: إما أن تصرخ لكي يساعدها أحد، أو أن تبقى طوال الليل في الجيب. وكلاهما في غاية الازعاج. قامت بمجهود كبير، فتحت باب الجيب وترجلت منه مترددة. لم يحدث شيء. لم يلتقطها وحش. الوحش الوحيد كان موجوداً في مخيلتها، فقط، قالت لنفسها. وعندها ارتاحت

قليلا، ولكن شيئاً ما مرَّ على قدمها فركضت مسرعة.

فجأة، توقفت حين رأت النور، ولاحظت بأن عيون رفاقها تحدق إليها.

سألها لوكاس: «أتريدين شراباً، يا جورج؟» وابتسم ابتسامة تظهر مدى سروره وأضاف: «شيئاً ليهدىء أعصابك؟»

أجابته: «مياه معدنية ممزوجة بعصير الليمون من فضلك.»

حضّر لها الشراب وناولها إياه، ولمست أصابعه أصابعها فأمسكها بثبات، وبدت في عينيه ضحكة استفزازية. ثم استدار إلى والتر. «هل أحضرت الصحف معك من نيروبي؟»

«أجل. ولكنني تركتها في الجيب، مع ثيابك. لقد وصلنا للتو. سأحضرها لك.» وحاول النهوض عن كرسيه.

«لا، لا تنهض. ستكون جورج سعيدة للقيام بهذه المهمة، أليس كذلك، يا جورج؟» وتناول لوكاس الكأس الذي اهتز بيد جورج.

جلس والتر وقال: «حسناً، كما تريد.»

شعرت جورج بأن فمها قد جف، وهي تنظر باتجاه الظلام. كان دامساً جداً، وأحست بأنها ستضيع بمجرد خروجها من دائرة النور، ولن يجدوها ثانية.

«لا أستطيع...» ثم حكّت حنجرتها وكررت. «لا أستطيع، في الحقيقة، أن أرى الجيب. أين تركته؟»

«هناك.» وأشار لها إلى مكان الجيب. «خذي هذا المشعل معك.»

قال لوكاس وهو يرفع كأسه في تحية لها: «هناك. ستكونين في أمان. إذهبي.»

أضاءت المشعل وسارت في الظلام تبحث عن سيارة الجيب، المتوقفة خلف شجرة نخل. كان قلبها يخفق بسرعة كبيرة، وبدأت تركض حتى وصلت إلى الجيب، وأمسكت الباب وفتحته بقوة. رأت صندوقاً على المقعد الخلفي، ورزمة كبيرة من الصحف.

اهتز المشعل، ونظرت جورج إلى الخلف نحو الخيمة. لم يراقبها أحد وكان لوكاس منهمكاً بالحديث مع والتر. نظرت إلى الصحف وهي تحبس أنفاسها، وبدأت تتصفح البعض منها، وفي أسفل الرزمة، وجدت ما كانت تتمنى إيجاده. الصحيفة التي تتصدر صورتها الصفحة الأولى منها. سحبتها، وبدأت تبحث عن مكان لتخبئها. فوضعتها خلف المقعد، لتأخذها في الصباح. وضعت المشعل جانباً لكي تلف الجريدة وتتخلص منها. مسرورة لأنها خبأتها جيداً. ثم مدت يدها لتأخذ المشعل.

«جورجيت باينبريدج! أين أصبحت؟ أريد أن أخلع عني هذا القميص المتسخ!» قفزت جورج عن المقعد، فوقع المشعل على الأرض وانطفأ، وخيم الظلام ولم يعد بامكانها أن ترى شيئاً.

«آه، يا إلهي...» بدأت تتأفف. «أرجوك...» وببطء بدأت تمد يدها إلى الأرض لتبحث عن المشعل. وهي تشد على أسنانها، لتمنع نفسها من الصراخ. وقعت يدها على المشعل وحاولت امساكه، بدلاً عن ذلك امسكت شيئاً طرياً. أخذت جورج بالصراخ.

فتح الباب بجانبها. «ماذا حدث...؟»

كان لوكاس يحملق بها مندهشاً، للحظة بدت وكأنها متجمدة، لا تستطيع أن تتحرك، عندها رمت بنفسها بين يديه وصرخت: «يوجد شيء ما هناك. لقد لمسته.» وتعلقت بلوكاس، وهي تضع رأسها على كتفه، مسرورة لأنها شعرت بالأمان. لقد شعرت

www.liilas.com

بدقات قلبه تخفق بهدوء وهو يضمها إلى صدره الواسع، وتدريجياً بدأت تعود إلى رشدها، وكذلك تذكرت أين هي. حاولت أن تسحب نفسها ولكن منقذها هو الآن آسرها.

قال لوكاس بنعومة: «حسناً، يا جورجيت...»

«لا...!» ثم نظرت إليه لتجد ابتسامته تملأ شفتيه.

«آه، نعم، يا عزيزتي. كان عليك أن تتعرفي إلى مايكل قبل أن توافقي على أن تعاملي مثله.» ثم نظر من فوق رأسها إلى الجيب. «كما ترين، بالاضافة إلى كونه مصوراً ممتازاً، مايكل أيضاً عالم حشرات. وهذا هو شيء غريب في الظلمة. أنا أؤكد لك بأنه لم يكن ليصرخ بل خلاف ذلك، كان ليفتح احدى الزجاجات التي يحوزها دائماً، ويضع الشيء الغريب فيها.» ثم أمسك بكتفيها. «مع أنني بصراحة، أعتقد بأنه لم يكن ليعرف ما هو هذا الشيء. والآن يا جورجيت، أظن بأنه يجب عليك أن تواجهي الوحش الذي أمسكته.»

«كلا!»

على الرغم من محاولتها أن تقاوم، شدها بقوة لتواجه خوفها. حوّلت جورج وجهها، وأغمضت عينيها.

أمرها لوكاس: «أنظري إليه لن يؤذيك، ثقي بي.»

«أنا... لا أستطيع.»

كرر عليها: «ثقي بي.» وببطء فعلت جورج ما طلب منها. للحظة لم تميز ما رأته، ثم عقدت حاجبيها غير مدركة سبب إصراره.

«إنها قبعتي؟» وبطريقة غير إرادية وضعت يدها على رأسها. من المحتمل أن تكون قد وقعت حين ركضت عندما تركها لوكاس.

«إنها قبعتك، يا جورجيت.» كان صوته يدل على أنه لا مجال للخطأ، وأضاف: «ربما يجب أن تصدقيني الآن، عندما أخبرك بأنها مخيفة. في الحقيقة، إنها كابوس.» ثم ابتسم وتابع كلامه: «إذا لم يعد يوجد أي ازعاج، أريد ثيابي الآن.»

«ثيابك؟» تناولت اللفة عن المقعد. «ها هي الثياب؟»

«هذا صحيح. يمكن أن تجلبيها إلى خيمتي أو على الأصح خيمتنا.» ثم استدار ومشى.

عندها، حملت جورج اللفة والمشعل والقبعة والصحف، وبدأت تهرول خلفه وفجأة سمعت ضجيجاً. فأوقعت كل شيء ما عدا المشعل، عندها قفزت مرتعبة. وفجأة أنير المخيم بعد أن تم تشغيل المولد الكهربائي.

أنبت نفسها قائلة: «فتاة مغفلة.» وعادت ولملمت الأغراض وأسرعت باتجاه الخيمة حيث كان لوكاس ينتظر.

سألها: «حسناً؟»

«على أحسن ما يرام.» ردّت عليه بثبات.

«إذاً سوف تبقين!» وأخذ منها اللفة ورماها على سريره.

«لا تقلق، يا لوكاس. لن أدعك لتتدبر أمورك بنفسك.» قالت جورجيت لتؤكد له ثانية: «وعليك أن تفكر بسمعتك. فإذا فقدت مساعداً واحداً، يمكن أن يقال بأنه سوء حظ. ولكن أن تفقد إثنين، فسيقال بانك غير مبالٍ.»

تقدم خطوة باتجاهها، فتراجعت بسرعة. وابتسم لوكاس، منتبهاً كلياً لمدى تأثيره عليها وقال: «حسناً، إذاً من الأفضل أن تكون هذه معك.» وانتشل نظارتها من جيبه، وفتحها كي يضعها على أنفها. أخذتهما من يديه بقوة ووضعتهما في جيب سروالها.

www.liilas.com

ابتسم وقال: «ماذا كنت فعلت لو أمسكت هناك عنكبوتاً كبيراً؟»

شبكت أصابعها وكنبت يائسة: «أنا لا أخاف من العنكبوت.» لم ترد أن تعطيه سلاحاً إضافياً يحاربها به. وتابعت: «لقد كان ذلك الظلام.»

«الظلام؟» وبدا أنه فوجيء. «أنتِ تهابين الظلام؟ لقد ظننت أن الحشرات الزاحفة، هي التي تخيفك.»

«أنا أعرف أن هذا سخيف.»

«أجل. في غاية السخف. الظلام جميل، يا جورج. تعالي، سأريك شيئاً.» وأمسك يدها.

«كلا! ألا تريد أن تغير...»

«لاحقاً. تعالي.» وأخذها إلى مدخل الخيمة وتوقف هناك ونظر إليها بإمعان وقال: «سوف أحافظ على سلامتك، أعدك.»

نظرت جورج في عينيه، فرأت بأن نظراته لم تعد تتحداها. وسمحت له أن يقودها إلى خارج المخيم، سيراً على الأعشاب. أحست جورج بالرعب.

«تماسكي، يا جورج.»

«كلا. لوكاس. لا أستطيع، أرجوك، أرجعني.»

«تماسكي، يا جورج. إفتحي عينيك.»

لم تكن جورج مدركة أن عينيها مغمضتان. «آه! ليس هناك ظلام دامس.»

«كلا، بالطبع، ليس هناك ظلام دامس. فهناك النجوم المتلألئة في السماء وضوء القمر الساطع.»

«هل ترين نجوم الحب؟»

«أجل، شكراً لأنك أريتني إياها.»

«هذا من دواعي سروري. ولكن هذا يكفي لهذه الليلة. وإذا لم تضعي شيئاً على قدميكِ، فسينهش البرغش لحمك. وأنت على قيد الحياة.»

عادا إلى المخيم، وأسدل الستار المعلق بينهما. فاستلقت جورج على السرير، تثاءبت، ثم غرقت في نوم عميق.

فجأة استيقظت جورج على صوت ينادي: «ميمساهب! ميمساهب! شاي، ميمساهب، من أجل بوانا.»

أجبرت جورج نفسها على النهوض، ورأت شخصاً يقف بجانبها فجلست بخوف وهلع ثم تذكرت أين كانت.

«جامبو، ميمساهب. شاي.»

بعد أن تأكد من أنها قد استيقظت، وضع الخادم الصيني على الطاولة وغادر.

«إنها الخامسة.» بدأ بالكلام من خلال الظلام: «أتمنى أن تكوني قد نمت جيداً.»

أجابت: «سأقول لك في الصباح.»

أحست به ينتقل إلى الجهة الثانية من الخيمة. وبعدها أشعل لوكاس شمعة، فتلاقت عيونهما. فابتسم ابتسامة خفية.

حضّرت جورج كوبين من الشراب وقدمت واحداً للوكاس. وبعد قليل، وضع لوكاس الكوب جانباً وذهب ليغتسل.

عاد بعد قليل ملفلفاً نفسه بمنشفة فسألته جورج «لماذا لم تأخذ الفانوس بحق الله؟»

«لم أحب أن أتركك غارقة في الظلام، فإلى الآن لم تأخذي إلا درساً واحداً!»

«شكراً.» وعلمت بأن خوفها غير منطقي وشعرت أنها تدين له

www.liilas.com

بتفسير. فأضافت: «أعرف أن هذا تصرفاً سخيفاً، ولكن أحد أقربائي كان قد سجنني في مخزن...» وتوقفت لأن ذكرى هذه الحادثة التي مرت سنين على حدوثها ما تزال تصيبها بالرعب.

«قريبك رجل ساحر.»

«إنه موظف بنك محترم الآن.» ثم نظرت إلى ملابسها التي كانت محتشمة، ومع ذلك بدت غير ذلك بسبب قربها من لوكاس فقالت: «لقد كنت تعبة كثيراً ليلة البارحة. حتى أنني لا أتذكر كيف أويت إلى الفراش.»

«حقاً؟» ولمعت عيناه بشكل مزعج ثم غادر خيمة الأكل.

كان لوكاس وحيداً عندما وصلت جورج إلى الخيمة، وأشار بيده إلى الطاولة. «تناولي شيئاً، ستجلب كوتوا لك البيض.»

«حسناً، فأنا أشعر بالجوع.»

«إذا كنت ستأخذين الجيب هذا الصباح فستجديه محملاً بالدوا ليب وجاهزاً.»

«وماذا عن عدة آلة التصوير؟»

«سأتحقق من ذلك وأحضرها معي. أريد التقاط بعض الصور هنا. إن الحادث الذي حصل لمايكل قد أخرنا كثيراً والفتيات مرتبطات بأعمال أخرى.»

أعدت جورج آلة التصوير، والفيلم وانطلقت في مهمتها. كانت تشعر بالحرارة والعطش، واتكأت على الجيب. وتناولت مرطباً وشربته. لا أحد يستطيع أن ينكر أنها تتعلم بسرعة.

فيما هي ترتشف المرطب، بدأت مجموعة من الشبان تهرج أمام جورج. لكي تلتقط صورة لهم.

ضحكت جورج، وأدارت آلة التصوير باتجاههم، وركزت العدسة، وفجأة ظهر لوكاس في العدسة.

قال لها: «اعتقد بأن كل شيء أصبح جاهزاً.» اقترب منها، وأخذ آلة التصوير من يدها.

«ليست لدي النية لأن أصبح صورة معلقة في غرفة نومك.» قالت بحدة.

«من الذي يطلب ذلك، يا حبيبة قلبي.» أحست جورج بالدم يتصبب في عروقها. ولم تعرف ما الذي جعلها تقول ذلك، وتبدو كالغبية. فابتلعت ريقها بصعوبة.

«هل تريد أن تلقي نظرة على الموقع؟»

«لأجل هذا أنا هنا. أرشديني إلى الطريق.» وقف لكي تمر، مشت جورج بخطوات ثابتة إلى نتيجة عملها الشاق. وقال: «يبدو حسناً. أعتقد أنها ستنجح.»

«ستنجح! لقد بذلت جهدي...» ورأت ابتسامته متأخرة.

«هيا، يا جورج، هلا تحركت في العمل؟» وأشار لوكاس إلى مجموعة الإطارات التي تشكل العرش وأضاف: «أريد أن اتفقد الضوء.»

«أنا؟» سألت بلهجة حادة. «ألا تستطيع بيتش أن تقوم بهذا العمل؟»

«قد تتسخ ثيابها من آثار العجلات. أما ثيابك فلا أسف عليها. هيا أصعدي، يا جورج.» حاولت جورج أن تقاوم هذا التجريح عندما رأت بيتش تراقبها بفرح، وكانت بيتش ترتدي قميصاً رائعاً، أصفر اللون، وبنطالاً أنيقاً. وكأنها نزلت لتوها من سيارة الليموزين. ليس هناك أي أثر للرمل أو الغبار عليها.

صعدت جورج من دون أي مناقشة، وبانتباه شديد، على العرش الذي عملت جاهدة لبنائه، وظلت عيناها تراقبان مارك

www.liilas.com

وهو يزين أمبر. لاحظ لوكاس ذلك، فقال: «قد يزينك مارك، إذا طلبت منه ذلك بلطف.»

صعقتها كلماته، فرمقته بنظرة حادة وقالت: «لا. شكراً لك.»

«لكنه سيحسن ذلك أكثر منك.» وأشار باصبعه إلى وجهها المطلي بالزيت. «أنا لست واثقاً مما هو أفضل، صباغ المحاربين على أنفك أو زيت التزين.» مسحت أنفها بعنف بكمي قميصها. وابتسم لوكاس. «إبقي مكانك، لا تتحركي.» وتراجع نحو آلة التصوير وركز العدسة عليها.

«تبدين كما لو أنك في منزلك هناك في الأعلى، يا جورج.» قال والتر وهو يحاول إغاظتها.

أجابت بخفة بعد أن حملقت بلوكاس: «آه، بالضبط. إسأل لوكاس أيضاً، كل ما ينقصني هو إبريق شاي.»

سأل لوكاس بصوت منخفض كي لا يسمعه أحد سواها: «وماذا عن الانجيل، يا جورجيت؟»

«إنه في جعبتي.» وقهقهت بصوت عال، مما دفع عيون الأشخاص الستة لأن تنظر في اتجاههما.

سألت أمبر: «ما الذي يجعلكما تضحكان؟»

قال لوكاس: «لا شيء إنها عن...» ثم اختفى صوته عندما رأى والتر يتلكأ وأضاف: «مارك! هل هذا سيأخذ كل نهارك؟»

«على وشك الانتهاء، أيها الرئيس.»

صعد الجميع إلى الجيب، ظل لوكاس وجورج وحيدين.

«كيشو؟، بو؟نا؟» سأل شيخ الضيعة.

أكد لوكاس: «كيشو؟، كبيسا؟، فزي. إن الإطارات كلها لك.» ثم أضاف: «الميمساهب ترغب في رؤية المدرسة التي تبنونها.»

«هيا، هيا.» ورمت جورج لوكاس بنظرة تعجب. هل من

المعقول أنه لا يزال يتذكر؟ سألت نفسها. فابتسم وكأنه فهم ما يجول في بالها.

قال الشيخ بابتسامة: «هاراهبي! مدرسة هاراهبي!»

«هل يتبرع المواطنون بالمال. لا مساعدات من الدولة.» ابتعد الشيخ قليلاً وترجم لوكاس الكلام لها قائلاً: «متري يقول بأن الإطارات ستكفي لشراء الأخشاب لبناء مدرسة بهذا الارتفاع.» ورفع يديه إلى مستوى خصرها وابتسم وأضاف: «يريد أن يعرف إذا كنت ترغبين في الحضور صباح الأحد لتساعدي في بناء المدرسة.»

شعرت جورج بسعادة لهذه الدعوة وسألت: «هل نستطيع أن نأتي؟»

«لقد خططت للذهاب إلى تيروبي وقراءة جريدة الأحد، والغداء هناك، وأقضي بعد الظهر في مشاهدة السباق. هل تودين أن تشاهديه، ولكن إذا كنت تفضلين هذا...»

قالت مشجعة: «باستطاعتك أن تذهب للغداء نهار أحد آخر. هذا سيكون ممتعاً.»

«حقاً؟ هل تعدين بذلك؟»

«كن جاداً!»

«آه، أنا جاد، أنا أعدك. وماذا عن غداء نهار الأحد؟ فنهار الأحد هو عطلة الطباخين.

قالت جورج: «تستطيع القيام بذلك بنفسك.»

قال موافقاً: «أستطيع ذلك. ولكنني لن أقوم بذلك. لم أحضر الطعام لنفسي أبداً، ولست على استعداد للبدء الآن.»

«كلب متطرف.» تمتمت جورج وهي تحبس أنفاسها، ثم

www.liilas.com

تساءلت: لماذا فوجئت. وأضافت: «آه، بحق السماء. سأجلب لك بعض الغداء.»

«أريد غداء لذيذاً.»

«أجل، كل ما تريد.»

ابتسم لوكاس برضى وقال: «في هذه الحال، من أنا لأحرمك من متعة حمل الألواح على ظهرك في يوم عطلتك؟ ربما ذات يوم ستخبرينني كيف تمرحين وتضيعين أوقات فراغك؟ ربما بحفر الخنادق للكشافة.» ثم نظر إلى الشيخ وقال: «يسرنا القدوم نهار الأحد. والآن، يا جورج هيا إلى المنزل.» نظرت جورج بدهشة، للرضى الظاهر على وجه لوكاس. «أنا لست على الرغم من كل شيء اعتقدته عني، كلباً متطرفاً أو شيئاً من هذا القبيل. وأنا أقوم بجهد لإثبات ذلك.» ابتسم وأضاف: «لا تجعليني أتمنى لو أنني لم أفعل.»

«في الحقيقة، أنا لا أصدقك، يا لوكاس، ولكن يسرني أن أقود الجيب.» صعدت وراء المقود، وأدارت المحرك. ثم بحذر شديد انطلقت. قفز الجيب قفزة قوية ثم توقف.

«آه، أنا آسفة.» أدارت جورج المحرك مرة أخرى، وانطلقت ببطء. ابتسمت جورج وهي تقود على الأعشاب. ورأت لوكاس مرتين يتمسك بمقعده حتى يحمي نفسه وقال: «عندك اسلوب رائع في القيادة. يا جورج. لا بد أنك معتادة على قيادة الشاحنات في لندن.»

قالت بحرارة: «آه، أنا لا أستطيع القيادة في لندن. أنا أموت من الخوف، فقط أقود السيارة بجانب منزلي.»

رفع لوكاس حاجبه وقال: «أنا أظن أنه جاء دوري لأعترف أنني لا أصدقك، يا جورجيت.» كانت قد قامت بتجديل شعرها

بعد أن فقدت دبابيسها وكان يلوي طرف ضفيرتها بين أصابعه وسألها: «أخبريني، ماذا تفعلين في أوقات فراغك غير قيادة السيارة حول المنزل؟» لاحظت نبرة في صوته لم تعجبها.

«لا شيء مهماً.»

«هل لديك وظيفة. هل تقطنين مع والدك في المنزل؟» ثم صمت قليلاً وأضاف: «هل تحبين أحداً؟»

«أنا...» أشارك جماعة من رفاقي في البيت بلندن. ولكن لا أقود السيارة هناك. لدي دراجة.»

«وماذا أيضاً؟»

«هل أحد الذين تشاركينهم المنزل رجل؟»

«لماذا لا تسأل عما تريد معرفته؟»

قال ساخراً منها: «ما يهمني؟ ما الذي تعنيه؟»

«هل أنا على علاقة بأحدهم؟» أوقفت الجيب واستدارت نحوه.

تمتم قائلاً: «أنا متأكد بأن هذا شيء لا يعنيني.» وبعد تفكير سأل: «هل أنت؟»

«ولكنك قلتها، يا لوكاس: إن هذا الشيء لا يعنيك.»

«وإذا كنت أود إقامة علاقة معك؟»

أخذت نفساً عميقاً، متمنية أن يتوقف عن هذا الكلام ثم قالت: «لا تكن سخيفاً، يا لوكاس، فإن كنت تريد المغازلة وإمضاء وقتك، فلديك ثلاث من أجمل الفتيات اللواتي رأيتهن في حياتي.»

رسم لوكاس ابتسامة على وجهه: «ربما يا عزيزتي جورج، ولكنك تقطنين في خيمتي.»

«في هذه الحال، سأنام في الجيب.»

www.liilas.com

«بمفردك؟ في الظلام؟»

«أنت مستحيل! إذا فكرت بأنك ستستفيد من هذه الحالة...»

«أنا لم اجبرك، يا جورج. أنت فرضت نفسك، أتذكرين؟»

«لم يكن لدي فرصة أخرى. ولو كنت أعلم...» توقفت قليلاً، لو كانت تعلم، لما كانت غيّرت شيئاً. تلك هي الحقيقة.

«أجل؟»

«لا شيء.»

«آه، هيا جورجيت، قولي ما الذي يجول في بالك؟ ماذا كنت ستفعلين؟ أترحلين؟» وهزّ رأسه. وتابع: «لا أعتقد ذلك. إن شيئاً ما يبقيك هنا، يجعلك ترضين بكل شيء أرميك به.» انتظر منها جواباً، إلا أنها صمتت.

ردت جورجيت: «هذه مناقشة سخيفة.»

«لماذا؟ هل أنت صاحبة أخلاق عالية، لتمنعك من التورط في مغازلة بسيطة؟»

أدارت جورج المحرك، ولكنه لم يدر. ثم أعادت الكرة. «مغازلة بسيطة؟ أنا لا اعتقد أن معاشرة رجل تعني مغازلة بسيطة. عد إلى رشدك يا لوكاس، نحن في العقد الأخير من هذا القرن، والزمن قد أدركنا. ألم تعلم؟ أن الحياة جدية وأن الأخلاق العالية والمبادىء عادت لتتبوأ مكانها.»

«أنت ترهقين المحرك.»

أجابته غاضبة وهي تستدير لمواجهته: «لا، أنا لا أفعل!» وتوقفت عن المجادلة، وساد الصمت المكان، إلا من وقع خطوات بعض الحشرات الأرضية. قالت جورج أخيراً: «حسناً ماذا سنفعل الآن؟ نسير مشياً على أقدامنا؟»

الفصل السادس

«يا لك من شابة غير مبالية، يا جورجيت! أليس لديك حرص على سلامتك؟ أنت في الغابة، قد يكون هناك أي شيء ينتظرك ليأكلك.»

نظرت جورج بغضب حولها، ولكن لم يكن هنالك أي شيء يوتر أعصابها مثلما يفعل لوكاس.

«إذن؟ ماذا تفترض أننا سنفعل؟»

«أنا متأكد بأننا سنفكر في طريقة لتمضية الوقت.» واقترب منها ثم أضاف: «قبل أن نحاول إدارة المحرك ثانية.»

«دعنا نبدل مقاعدنا.» وتحركت بسرعة لتفتح الباب، ولكن لوكاس مدّ يده وأمسك بذراعها.

«بالطبع لا.» انحنى أمامها وأغلق الباب. «إلا إذا، بالطبع، كنت مهيأة لتعترفي بأنك بحاجة لرجل ينقذك من هذه الورطة!»

«هذا سخيف!»

ضحك وقال: «لا أعتقد ذلك. إذاً، متعيني بشيء ما. ابقي تفكيري بعيداً عن الخطر الفظيع الذي ورطتنا به.»

قالت ببرودة: «أنا لست مذياعاً، يا سيد لوكاس.» وفيما كانت يدها ترتجف، حاولت أن تدير المفتاح بيأس. وبعد جهد دار المحرّك. وبدّلت جورج محوّل السرعة من دون أي كلمة وانطلقت، ولكن هذه المرة كانت تقود برفق أكثر.

بعد برهة رمقته بنظرة جانبية وسألته: «أي نوع من الإثارة خططت لهذا النهار؟»

www.liilas.com

نظر لوكاس نحوها وهو يبتسم، امسكت جورج أنفاسها، ولكنه امتنع عن محاولة مغازلتها وعاد يفكر في عمله، يشرح عن اللقطة التي حضرها باكراً. ثم نظر إلى ساعته. «هيا يا جورج أسرعي الآن.»

دفعت جورج دواسة البنزين أكثر، وتظاهر لوكاس بأنه لم يتأثر من الارتجاج، وظل جالساً من دون أن يظهر أي شعور بعدم الراحة. أصبح خارج اللاندروفر تقريباً، وسار قبل أن يتسنى لجورج كبح السيارة، وأعطى أوامره، مما جعل الجميع يقفزون.

تمتم والتر لجورج فيما هو يتحرك من كرسيه: «لقد اعتقدت بأنه يمكننا أن نأكل لقمة قبل أن نبدأ ثانية.»

لكن لم يتمكن أي منهم من تناول الطعام قبل أن يتم تصوير لقطة مشهد صعب لبيتش وهي تستحم في العراء. أراد لوكاس أن يظهر وجه أحد السعادين السود في المشهد، وهو يتلصص عليها من خلف شجرة وقد حاول تصوير هذا المشهد مرات عدة حتى نجح في ذلك.

لأول مرة منذ عودتهم إلى المخيم ابتسم لوكاس ثم قال: «عمل حسن، أيها الفريق. والآن ما رأيكم ببعض الأكل؟ أنا أكاد أموت من الجوع.»

في الوقت الذي لملمت فيه جورج جميع التجهيزات، كان كل الباقين قد ملأوا أطباقهم من المقصف وجلسوا حول الطاولة يأكلون. وضعت جورج بعض الطعام في صحنها وذهبت لتنضم إليهم. كانت الكرسي بجانب لوكاس خالية. نظر إليها وهي تجلس بجانبه وابتسم.

«هل حزم الجميع أمتعتهم؟» أومأت برأسها. «ممتاز. سنغادر حالما ننهي غداءنا.»

«نغادر؟»

«إلى نيروبي. لقد قررت أن أصور مشهد كيلي مع الغزال بعد ظهر هذا اليوم.»

رفعت جورج حاجبها وسألت: «وكيف تنوي أن تفعل هذا؟ بواسطة حبل في طرفه أنشوطة؟» ضحكت كيلي التي كانت تجلس بجانبها، لوكاس، من جهة أخرى ابتسم ليظهر مدى سروره.

«واحسرتاه، لم أفكر بذلك. كنت قد تمتعت لو رأيتك تحاولين أن تمسكي واحداً لنا.»

«هكذا إذاً؟» ردت وهي تشعر بانزعاج منه ومن نفسها، وهي علمت بأن الانسحاب الآن، كان ليظهرها بشكل سيّء. حاولت جاهدة أن تظهر عدم الاكتراث وسألت بمرح: «من أين نحصل على الغزال؟»

ابتسم لوكاس كما لو أنه يعرف ماذا يجول في بالها.

«هناك ملجأ للحيوانات في حديقة الحيوانات في نيروبي. ولقد تم الاتفاق معهم...»

قاطعته بيتش: «أيمكننا أن نحضر جميعنا معكم؟»

«ليس هذه المرة، يا عزيزتي. لا يوجد أماكن كافية في الطائرة.»

قال له والتر: «لا تنس أن تأخذ الفيلم إلى نيروبي. ويمكنك الحصول هناك على بعض الأفلام أيضاً.»

«أجل، أيها الرئيس.» ابتسم لوكاس.

«وأحضر الصحف معك أيضاً.»

«وكذلك البريد.»

بعد نصف ساعة كانوا يقلعون على مدرج رملي بالقرب من

www.liilas.com

الحديقة العامة. استغلّت جورج الوقت وكتبت رسالة سريعة لوالدها لتخبره بأنها ما تزال صامدة، وكذلك كتبت لأحد ضيوف منزلها بوب تيرنر، تذكّره إذا ما احتاج لشيء أن يتصل بالآنسة بيشوب في مكتب والدها. ووضعت العناوين على المغلفين وأسندت ظهرها لتمتع نظرها بالمشاهد.

عرض لوكاس قائلاً: «سأضع هذه الرسائل مع باقي البريد، أيمكنني؟»

«ولكن لا يوجد عليها طوابع.»

«سأرتب الأمر.» وناولته إياها بتردد. ثم نظر لوكاس إلى العناوين وقال: «واحد لوالدك.» وأضاف: «وآخر إلى الولد الحبيب؟»

«إن بوب صديق، بالتأكيد وهو رجل وليس ولداً.»

وضع لوكاس المغلفين في جيبه وقال: «لقد أوشكنا أن نصل.»

نظرت جورج إلى الأسفل بكل اهتمام عندما بدأ الطيار يهبط بالطائرة. «انظري هناك، إلى بعض الزرافات.» بعد أن هبط بالطائرة على المدرج الرملي، صعدوا إلى السيارة التي كانت تنتظرهم. وسارت بهم إلى الملجأ القريب. وجدوا المدير بانتظارهم.

«كل شيء جاهز. لقد حجبنا الحظيرة بستار لنعطيكم بعض الخصوصية. إن بامبي الغزال موجود هناك الآن، يمكنكم أن تستعملوا هذا المكتب لتبديل الملابس، أو للتبرج، أو كما تريدون، سيقودكم ذلك الباب إلى الحظيرة.»

«شكراً.» نظر لوكاس من حوله وقال: «حسناً، سوف نباشر بعملنا.»

ونزع مدير الملجأ عينيه بالقوة عن كيلي. «آه، حسناً، يوجد هناك صندوق يحتوي على ما يرغبه بامبي. إذا حملت الفتاة الشابة أياً منها بيدها سيلحق بها بامبي حيثما تريد.»

هكذا فعلت. مشت كيلي عبر الحظيرة، وهي ترتدي ثوباً أبيض شفافاً يتدلى عند كتف واحدة، وسلة تحتوي على بعض قطع غيار السيارات وضعت على رأسها، ولحقتها بامبي. وكانت تلال ناغنوغ تظهر في خلفية المشهد. وقد سر لوكاس بنتيجة التصوير. ثم نظر إلى ساعته.

«ما نريده الآن هو وسيلة نقل.» كان المدير سعيداً جداً ليحقق له مطلبه. فإن ما دفعه لوكاس كهبة للملجأ كان مبلغاً كبيراً، وتأثرت جورج بكرمه.

قالت وهم يركبون في سيارة بيجو قديمة: «كان أكثر مما دفعت للقرويين لمساعدتهم.»

«كان هذا ما طلبوه مني لسبب حسن. لقد اعتقدت بأنك تدعمي القضايا الحسنة.»

أجابته جورج: «بالطبع أنا أفعل. أنا فقط أعتقد بأن الانسان أهم من الحيوان.»

ابتسم لوكاس وقال: «حقاً؟ لقد اعتقدت بأنك تعلمين أكثر، فبعض فصائل الحيوانات في خطر. ولم ألاحظ هذه المشكلة مع الناس.»

نظرت إليه جورج وقالت: «أنت تعلم ما أقصد.»

قال لها: «بالطبع أنا أعلم.» ثم ربت على يدها وسألها: «الآن، ماذا سوف نفعل في نيروبي؟»

أجابت كيلي: «يمكنك أن تنزلني في نورفولك. أريد أن أتصل بجون وأن استحم.» وكان لدى مارك وسوزي خطط مشابهة.

www.liilas.com

«هذا إذاً ما تريدون، حسناً.» توقّف بجانب الفندق وقال: «يمكنك أن تأخذ البريد والأفلام. تأكد من أن تأخذ كل شيء. سأمر لأقلكم، فيما بعد.» حاولت جورج أن تلحق بهم، ولكن لوكاس منعها قائلاً: «لا تذهبي.»

نظرت إليه بدهشة وقالت: «أنا بحاجة لأخذ حمام أيضاً.»

«إذا كانت هذه دعوة يمكنك أن تقنعيني لكي أغيّر رأيي.» وبدت تعابير وجهه جدية جداً. «وأنا سأدلك لك ظهرك.» عرض عليها متأملاً. ابتعدت جورج عن نظراته، وقد أدركت بأن خديها اللتين بدأتا تحرقانها، قد أصبحتا بلون الدم، وتابع: «كلا؟ خسارة.. في هذه الحال، أصر على أن تساعديني في القيام بمهمة انسانية.»

شعرت جورج في الحال بالندم وقالت: «مايكل! أنت ذاهب لزيارة مايكل.»

«لقد نسيته! لا أستطيع أن أصدق بأن فتاة مرهفة الاحساس مثلك قد تنسى شخصاً بحاجة للمساعدة.»

عندها أفلتت جورج من يده، أغلقت الباب بقوة وقالت: «من الأفضل أن نجلب بعض العنب.»

«سوق الفاكهة في آخر الطريق.» وابتسم، ثم أوقف السيارة خارج السوق. «سأرافقك أيتها القطة المدللة، ليس من الضروري أن تقطبي هكذا لأنك لست الشخص الوحيد الذي لديه نوايا حسنة.»

«هذا غير عادل!»

«حسناً، ابتسمي، وبعد. اخلعي تلك النظارة السخيفة ومتعي نفسك. عندها سأتوقف عن مضايقتك.» وشعرت جورج فجأة بالحنق. كانت رديئة الطبع، منذ أن حاول لوكاس أن يتودد

إليها. وهي تعرف السبب. وببطء، رفعت النظارة عن عينيها ووضعتها في حقيبتها.

«هل هكذا أفضل؟» غصّ صوتها.

«أفضل بكثير.» ثم نزع لوكاس القبعة عن رأسها ورماها في صندوق على الطريق.

«لماذا!»

تجاهل اعتراضها وبدلاً عن ذلك، نزع الربطة عن ضفيرتها ومرّر أصابعه في شعرها ليرخيه، وهزّه ليأخذ حريته قبل أن يمسك وجهها بيديه.

«لوكاس! دعني!» طالبته بشدة، وانتبهت بأن عدداً من المارة قد توقفوا ليراقبوا ويتمتعوا بهذا المشهد غير المتوقع.

ابتسم لوكاس وعانقها. «إليك.» قال وهو راضٍ: «هكذا أفضل بكثير.» وتركها قبل أن تعترض.

سألته: «لماذا فعلت ذلك؟»

«إما أنت أو القبعة. وبصراحة، أفضلك أنت.»

«هذا ليس ما...» ثم توقفت.

«ماذا؟» كان يضحك منها. مررت جورج أصابعها بشعرها.

«لا بد أنني أبدو كالمجنونة.» قالت وهي تلومه.

«أنت تبدين جميلة.» ثم حدق بها لحظة وتابع: «يجب أن أكون مندهشاً، ولكن لا أشعر كهذا. والآن، هيا نشتري العنب.» أمسك يدها وقادها عبر الشارع وعلى الدرج إلى السوق حيث توقفت جورج فجأة.

«ما أجمل هذه الزهور!» وصدمت بتعدد الأصناف الغريبة من الأزهار والورود وأضافت: «الرائحة... لم أظن بأن الأزهار الاستوائية لها رائحة.»

مكتبة ليلى الإلكترونية
Wwww.liilas.com

قدم البائع أزهاراً بيضاء. أومأ لوكاس برأسه موافقاً وأشار إلى الورود وسألها: «الحمراء؟»

«ولكنها ستذبل بسرعة.»

رفع لوكاس حاجبه بطريقة ساخرة. «ما الذي لا يذبل بسرعة؟ تمتعي بها الآن.»

عضّت على شفتها وهي تشعر بالحنق. بدا لوكاس أنه خبير بالملاطفة وقالت: «ربما من الأفضل إذاً...»

«نعم؟» قال ليرغمها على تكملة حديثها، ثم حمل عنقوداً من العنب لتتفحصه وأومأت برأسها.

كان هذا سخيفاً جداً. لم يكن شيئاً سوى لعبة بالنسبة له وقال: «لا شيء، لماذا لا تبتاعي له أيضاً ليمون الأفندي؟»

«فكرة حسنة.»

كان مايكل مسنداً رجله المغطاة بقفص. والطاولة من حوله كانت مغطاة بأوعية زجاجية صغيرة مليئة بالفصائل التي جمعها وكان مشغولاً بالكتابة عندما وصلا.

«لوكاس! كم هو لطيف منك أن تأتي.» ثم نظر إلى جورج باهتمام.

«لقد انتهينا باكراً من الملجأ، عندها فكرنا بأن نزورك ونجلب لك بعض العنب.»

«باركك الله. وشكراً على العنب. وكذلك بالنسبة إلى هذا الخيال الرائع الجمال الذي أحضرته معك.»

قال لوكاس: «لقد مضى عليك وقت طويل هنا، يا مايكل. هذه جورج، إنها ليست أي خيال، إنها مساعدتي.»

نظر مايكل من خلال نظارته إلى جورج ثم إلى لوكاس

وقال: «ولكنني لا أتذكّر بأنك تقدم وروداً حمراء لمساعديك.» ثم عاد ليحدق بجورج. «أنت البديلة، إذاً؟»

«جورجيت باينبريدج، كيف حالك؟»

صافحها باليد وقال: «لما لا تجلسي؟»

«نحن نقاطع عملك.» ثم نظرت جورج إلى الأصناف وبسرعة غيّرت نظرها وقالت: «أنا استغرب، كونهم يسمحون لك بأن تبقيها معك هنا.»

«آه، لا تخافي، فهي ميتة.» ثم نظر إلى لوكاس وقال: «لم يسمحوا لي باحضار ديدو.»

«ديدو؟» نظرت جورج من واحد إلى آخر.

«لقد نسيت ديدو؟» ابتسم لوكاس وهو يفكر وأردف قائلاً: «إنها عنكبوت صيد صغيرة وجميلة، وجدها مايك في الخيمة المشتركة.»

«آه، يا لوكاس، إنها ليست صغيرة، فهي نموذج جيد إنهم يهتمّون بها الآن في مزرعة الأفاعي. يمكنك أن تذهبي وتريها إذا أردت.»

«كلا.» تجمدت جورج في مكانها، ثم بدأت تتنفس بعمق بينما راقباها وهما مسروران.

الزجاجات، بمحتوياتها، بدت وكأنها تقترب منها شيئاً فشيئاً. شعرت جورج بالرغبة السريعة لتركض. إنما لوكاس وضحكاته تركتها مسمّرة في مكانها. وضع يده حول كتفها ومن دون وعي اقتربت منه أكثر.

«حسناً، من الأفضل لكما أن تغادرا الآن وتمتعا نفسيكما. فكّرا بي وأقول، يا لوكاس، يمكنك أن تحضر ديدو لتزورني. أنا متأكد بأنهم سيسمحوا لك.»

www.liilas.com

«دعك من هذا. سأراك قريباً.»

رفعت جورج يدها قليلاً وقالت له: «وداعاً.»

سار لوكاس إلى الموقف وأجلسها في السيارة وقال: «لقد ظننت بأنك لا تخافين من العنكبوت.» وابتسم.

ابتلعت جورج ريقها وقالت: «أنا لا أخاف نظرياً، ولكن عملياً، فأنا أشعر بالقليل من... الخوف.»

«تعالي. سأقدم لك شراباً.» ثم أدار السيارة. «إلاّ إذا كنت تفضلين أن تذهبي لزيارة ديدو؟»

قالت جورج بثبات: «أفضل شراباً. شكراً.»

«سوف نذهب إلى النادي ونشاهد غروب الشمس، أظن بأننا سنبدو كشخصين محترمين كفاية لنأكل على السطيحة هناك.»

جلسا على كراسي شادي نيروبي يشربان المثلجات، وهما ينظران إلى بعضهما بعضاً بصمت. وتفحصت جورج تفاصيل وتعابير وجهه مع الغروب باهتمام بالغ. وأخيراً ابتسم لوكاس وقال: «حسناً؟»

«وجه مثير. أريد أن أصوّره وأكبّره، إذا كنت تسمح لي؟»

«فقط إذا وعدتني بأن تضعيها إلى جانب صورة الأميرة.»

«وماذا أيضاً؟»

مالت برأسها وجعلت عينيها ضيقتين وقالت: «وجهك لا يشبه وجوه البريطانيين. خدودك أوسع. وأنت أسمر كثيراً.»

سألها وهو يراقبها باهتمام: «وهل في الأمر فرق؟»

«لا.» ثم فكرت لحظة وأضافت: «ثلاثة وثلاثون أو أربعة وثلاثون عاماً.»

«اثنان وثلاثون. لقد أمضيت حياة صعبة.»

«هل هذا صحيح؟» ثم أمسكت بيده الموضوعة على

الطاولة. إنها قوية وسمراء ويعلوها الشعر الأسود. ثم قلبتها. أصابعه طويلة ونحيفة، وكفّه خالية من التقرحات والجلد المشقق وقالت: «لا عمل يدوياً. إذاً، بأية طريقة صعبة؟» ثم نظرت إليه ولكن متأخرة لترى نظرته الخطرة المليئة بالضحك. ثم تركت يده كما لو أن شيئاً ما لسعها. ولكنه أمسك بأصابعها وشدّ يدها عبر الطاولة نحوه. قالت له مطالبة: «دعني.»

قال لها بتعبير مجروح: «إنه دوري الآن.» وجلس إلى الأمام وحدق بعينيها، وأصابعه ممسكة بأصابعها وأضاف: «وجه مثير. أحب أن أصوّره إذا كنت تسمحين؟» سألها وهو جاد كلياً.

حاولت أن لا تشجعه قائلة: «ربما.»

«وجه انكليزي صرف. بشرة خوخية اللون. أزرق داكن لا... بنفسجي لون عينيك. وجبهتك عالية.» التصق حاجباه الداكنان والكثيفان ببعضهما بعضاً قليلاً وتوقف للحظة وبدا التصميم على وجهه. ثم تابع: «كثيرة الشبه من لوحة العذراء لرافائيل.» وكان لديها شعور بأن كل هذا هو شكليات رسمية. وغاب فجأة المرح عن كل هذا وخمن قائلاً: «بداية العشرينات؟»

«إثنان وعشرون عاماً.»

«فقط؟» وزيّف اندهاشه.

«عشت حياة سهلة.» أجابته وهي تحاول جاهدة أن تبقيها لعبة.

ثم رفع يدها ليتفحصها وقبل أن تسحبها، وضع قبلة على كفها وقال: «بالتأكيد لم تعملي بالبناء.»

عندما ظهرت أطباق السلمون، سحبت جورج يدها ولمحت لوكاس ينظر إليها بتعابير وهو يأكل طعامه. بينما كان

www.liilas.com

الخادم ينظّف الطاولة وهما جالسان بصمت، تغيّر الجو بينهما ولم يعد كما هو. شعور مهيب كان يحاول أن يخرج من أعماقها.

كلاهما بدأ الكلام في آن واحد، وتوقّفا. دعاها لوكاس بكل تهذيب قائلاً: «أرجوكِ أنتِ أولاً.»

مع هذا ظلت جورج مترددة. ربما لأنها لمحت اهتمامه الواضح بها في عينيه الرماديتين. ولكن لوكاس ظلّ ينتظر. وأجبرت نفسها على الكلام، وفجأة لم تعد تحتمل كل هذا الضغط لوقت أطول وقالت: «لقد تذكرت، أليس كذلك؟» وانهارت أمام قوة نظراته.

«لقد عرفت في أول يوم وصلت بأننا التقينا قبلاً. ولكن على أن أعترف بأن تذكرك كان جيداً. في كل مرة كنت أبدأ لأفكر بك، كنت تقومين ببعض الأعمال الصغيرة التي تشتت تفكيري. كنت ذكية جداً، يا جورجيت.»

«إذاً، وماذا جعلك تتذكر أخيراً؟»

«حالما سمعت نفسي أصفك وخاصة جبهتك. هذا ما لفت انتباهي في آخر لقاء لنا.» ثم ابتسم وقال: «طبعاً، قبل كيس الطحين.» كانت تتوقعه أن يكون غاضباً، ولكن بدلاً من ذلك، ظهر عليه السرور وقال: «لقد سحرني وجهك. لم أكن مهتماً أبداً بالفتيات اللواتي كنّ يخطرن أمامي على المنصة ليلفتن انتباهي. كان خيالك يطغى على الجميع. كان واضحاً جداً أن كل ما استطعت أن أفكر به هو أن تجلسي معي و...»

لم تكن تريد أن تسمع ما كان يخطط له فقاطعته بحدة: «هل استرجعت السترة ثانية؟» ثم وضع النادل طبقاً أمامهما.

رمشت عيناه وقد فوجيء بالطريقة التي قاطعته بها وقال:

«أجل، لقد استرجعتها. شكراً لأنك نظفتها. لم أكن أتوقع هذا منك نظراً للظروف.»

عادت إلى الاحترام وقالت: «كان هذا أقل شيء ممكن أن أفعله. لم أكن أعنيك شخصياً.» ولكن كانت تعنيه شخصياً وعندما بدأ يفترسها بعينيه الحادتين. أدركت في هذه اللحظة، أنها تريد أن يتودد إليها.

«لقد شعرت بأنها موجهة شخصياً لي. وأؤكد لك أن ردي كان شخصياً كلياً، أستطيع أن أعيده ثانية.» وأضاء بريق مفاجيء في عينيه، وأضاف: «وبكل سرور.»

ابتلعت ريقها وسألته: «وماذا ستفعل الآن؟ هل سترسلني إلى البيت؟»

نظر إليها بكل فضول. «إنه مهم لك، أليس كذلك؟ البقاء هنا؟» أومأت برأسها. أسند ظهره إلى الكرسي وبدأ يراقبها مفكراً. «أنا آسف لأنني تركتك تغادرين بسهولة في آخر مرة التقينا. في الحقيقة لقد حاولت أن أبحث عنك، ولكن لا أحد كان يعرف من أنت.»

قالت باحساس: «كان يجب أن تتركني لكي أعتقل من قبل الشرطة.» وأضافت: «كان اسمي سيذكر بالصحف.»

«ربما، ولكن الأمر كان مسلياً أكثر بطريقتي، ألا توافقين؟ سأعرض عليك أمراً، يا جورجيت. لدينا أعمال مشتركة لم ننهها، أنت وأنا. إذا سمحت لك أن تبقي، هل تجلسين لألتقط لك صورة؟»

شعرت جورج بالحرارة تلوّن وجهها. أرادها أن تعرض له. ثم بلعت ريقها وسألته همساً: «هنا؟»

هز رأسه وقال: «كلا. في الاستديو عندي.» ابتسامته كانت مخيفة. «إنها أكثر خصوصية.»

www.liilas.com

شعرت بضغط خفيف على صدرها، مما جعل صعباً عليها التنفس. «يمكنني أن أغيّر رأيي حالما أغادر كينيا.»

«أنا لا أعتقد بأنك تنكثين بوعد تأخذينه على نفسك، يا جورجيت.» كان هنالك ثقة في نبرة صوته.

«كلا.»

«فكّري بالأمر.» ثم التقط السكين والشوكة وبدأ يلتهم طعامه بشراهة. وعندما نظر إليها ثانية، لم يعد يوجد في عينيه نظرة التهديد، فقط ابتسامة صادقة. قال: «يمكنك أن تخبريني متى نذهب لجلب الآخرين. أما إذا قررت أن تذهبي إلى الوطن سأتركك في نورفولك.»

تلهت جورج بتحريك الملعقة في الطعام، محاولة أن تقرر إذا كان سيؤثر ذلك في لفت انتباه لوكاس إليها. إن فكرة التصوير لم تعن شيئاً. إذا كان أي شخص غيره، فلن الأمر ليكون لا شيء. ولكن فكرة أن تكشف نفسها أمام لوكاس كانت فكرة معيبة.

لم يعلّق على طعامها غير الملموس. نظر إلى ساعته وقال: «من الأفضل أن نذهب لنجلب الآخرين.» ثم دفع الفاتورة وهمّ بالوقوف.

«لوكاس!» لقد كان هنالك شيء جديد في صوتها أوقفه. «من سيرى الصورة؟ هل تستعملها لـ... تقويم؟»

بدا وجهه خالياً من التعبير وقال: «هل هذا كل ما ترينه عندما تنظرين إلي، يا جورجيت؟» ثم هزّ رأسه وتابع: «إن عقلك محدود جداً. ألم تطلعي على انتاج رسامين عظام مثلاً؟ مولد فينوس لبوتيشيللي؟ الماجا العارية؟» نظرت جورج إلى يديها، إلى أي مكان ولكن

ليس باتجاهه. «لمعلوماتك، إن التقويم الذي أعمل به الآن هو خاصة لوالدك، وأنا أجعله يدفع ثمناً غالياً لخدماتي. المال يساعدني في القيام بأعمالي.» لمح رجاءها الصامت في عينيها وقال: «لا أحد غيري سيرى الصورة التي سآخذها لك.» ساعدها في الوقوف. «لا أحد غيري سيكون متواجداً في الاستوديو. ستكون الصورة لي وحدي. وأنا أيضاً أحافظ على وعدي.»

أمسكها من ساعدها، وسار بها إلى السيارة. وفيما هو يفتح لها الباب، فحّت رائحة الورود لتملأ نسيم الليل. حمل لوكاس الباقة وناولها لجورج.

أخذت الورود، وساعدها لتجلس في السيارة.

تكلّم برقة: «أنت ترتجفين، يا جورج.»

ردّت عليه قائلة: «أنا أشعر بالبرد قليلاً.»

«أستطيع أن أدفئك.» عرض عليها بكل لطافة ولكنها اختارت أن تتجاهله.

«بلا شك.»

هز كتفيه ولم يتكلم ثانية حتى وصولهما إلى نورفولك. لم تكد جورج تلاحظ الآخرين وهم يصعدون إلى المقعد الخلفي. كان هنالك سؤال صامت بينهما ولوكاس كان ينتظر جوابها. وكان هناك توتر بعينيه بينما كان ينتظر قرارها.

«جورج؟»

أبعدت عينيها عن نظراته القوية ونظرت باتجاه الفندق، كانت تعلم بأنه يجب أن تبتعد عنه طالما هي قادرة على ذلك.

«أليس من الأفضل الآن لو نتابع سيرنا، يا لوكاس؟»

www.liilas.com

الفصل السابع

كان هناك بريق خافت في عيني لوكاس يدل على ارتياحه وهو ينظر إليها من مكانه بجانب الطيّار. كانت جورج تشعر بالأسف لأنها دفعت نفسها لكي تجلس في مؤخرة الطائرة لتبتعد أقصى ما يمكن عنه. لم ترغب أن تنفصل عنه ولو لسنتيمترات... ولكن هذا ترك لها الوقت الكافي لتأخذ في الاعتبار نتائج ما وعدت به.

بدأت الأمور وكأنها مسلسل. الأحداث الغريبة التي قادتها من تظاهرة احتجاج ضد مباراة جمال إلى النقطة التي وافقت بها على أن تعوض له. كانت تحملق في مؤخرة رأسه وبشعره الأسود الجعد، وتعجبت كيف ستكون الأمور، ماذا سيسألها أن تفعل. سمعت صوت الطيّار يحذّر بقرب الهبوط.

هبطت الطائرة. عندما توقفت الطائرة على المدرج واتجهت نحو مصدر أنوار بعيدة، صدمت جورج لإكتشافها بأن الأنوار كانت صادرة من مصابيح سيّارة. ساعدهم الطيّار على إنزال تجهيزاتهم. حاول جورج ولوكاس في الوقت نفسه أن يمسكا بركيزة الكاميرا وتلامست يداهما وسحبت يدها وكأنها قد لسعت.

نظر إليها، متفاجئاً من ردّة فعلها: تمتم بنعومة: «أنا لا أعض» لم ترد أو تستطع جواباً وهو يحمل الركيزة على كتفه والكاميرا وصناديق الأفلام بيديه.

فتح لها باب السيارة وتسلقت مسرعة، جلست في الجيب لتتهرب من الرغبة الخطرة في ملامسته.

مال للحظة بإتجاهها، غير مهتم للباقين. «هل أنت نادمة على قرارك يا جورج؟» سألها وغضب هادىء بادٍ بكل مقطع من كلماته: «حسناً، لقد تأخرت كثيراً الآن لتغيري رأيك.» ثم أغلق الباب.

شعرت جورج بأظافرها تغرز في كفيها. إن مشكلتها لم تكن ناتجة عن الندم، ولكن لأنها لا تستطيع أن تبعد الفكرة عن رأسها.

القيادة عبر الأدغال كانت مثل كابوس مرعب. قاد لوكاس السيارة بتهور وبسرعة جنونية. صرخت جورج عندما لمحت شيئاً أمام أضواء السيارة: «يا الله، لقد كان ذلك عصفوراً!» إعتذرت جورج بصوت خافت: «أنا آسفة.» وتابعا الرحلة من دون أن يكسرا الصمت. بدا الإرتياح على الجميع عندما وصلوا وللحظة ظل الجميع ساكنين في أمكنتهم، إلى أن ظهر وجه والتر إلى النافذة مقابل جورج.

«هل وصلت سلبيات اللقطات؟»

أعادهم العمل مجدداً إلى الحياة وبعد دقائق إنصب اهتمام الجميع على آلة عرض الصور. علق لوكاس أخيراً: «إنها رائعة.» وعلقت جورج: «لقد نجح العمل فعلاً.» ونظرت إلى الشرائح الزجاجية، لكن كان الجميع مأخوذين بالمشاهدة قبل وصولها ولم يأبهوا لرأيها. وعندها استدارت لتغادر، من دون أن يتوقف عن متابعة عرض الصور على الآلة، أمسك بيدها، وسحبها نحوه ثم ترك يدها ليحيط بخاصرتها ويجذبها نحوه.

«ما رأيك بهذه الصورة يا جورج؟» سألها وكان صوته ودوداً. عندما نظرت إلى عينيه فهمت التحدي. لقد كان يقول: هذا ما ستفعلين لي. أحسّت بأن الدم يفر من وجهها.

www.liilas.com

قالت له: «اعتقد أنها...» عانت لتجد كلمة مناسبة وتابعت: «... أنها جميلة.» لم يكن وحده الشخص الذي يقول شيئاً ويعني شيئاً آخر. حررت نفسها من يده وقالت: «اعتقد بأنني سأذهب للنوم، أعذروني.» وبهدوء استدارت وذهبت.

«هل تعتقدين بأنك تستطيعين أن تتدبري الأمور بنفسك هذه الليلة؟» انتقل صوته عبر المخيم وحملها على التوقف: «إذا كان الجواب لا، هلا تركت حاجتك خارجاً؟ لقد حاولت جاهداً العثور عليها بالأمس.»

ترنحت عندما أحست بركبتيها تتهاويان. وقبل أن تستعيد قوتها كان لوكاس هناك فأمسك بذراعها حتى لا تقع.

«أنا آسف، جورج، أرجوك سامحيني. لم يكن يجدر بي أن أقول ذلك.» كانت ترتجف ولم تستطع أن تلاحظ اهتمامه وقد تبدل بعدها الغضب في عينيه إلى شعور رافئ.

«هل أنت؟ أخذتني إلى السرير؟» ولكنها لم تكن بحاجة لأن تسأل. لقد كان ذلك واضحاً. وتذكرت سروره عندما قالت إنها لا تذكر كيف أوت إلى فراشها. آخر شيء تذكرته هو أنها استلقت ثم حل الصباح.

«تعالي، يا حبيبتي. سأشغل لك الضوء.» وحاول أن يقود جسمها المتيبس إلى الخيمة ولكنها لم تكن قادرة ولا تريد الدخول.

«جورج؟» وقفت ثابتة رافضة الدخول فأحاط بذراعيها وحملها. وضع رأسها على صدره، فأحست بدقات قلبه المتسارعة حين أصبحت ملاصقة له.

همست بأسى: «لا!» ولكنه لم يأبه لكلامها وابتسم فجأة.

«انزلني أرجوك» رجته أن يفعل.

«هل ستسامحيني؟»

قالت معاتبة: «أسامحك، كيف لي ذلك؟ وكيف استطيع أن أفعل؟ فأنا لا أدري ما فعلت بي.»

حاولت بصعوبة أن تفلت من يديه ولكنه لم يتركها وادركت أنها إذا لم تجعله يتركها فسيكون قد فات الأوان لكل منهما. وحاولت مرّة ثانية. «هل شعرت بسعادة عندما قطعت أزراري واحداً تلو الآخر؟ هل تمتعت بالنظر؟» ولكنه لم يجب. «حسناً؟»

ابتسم: «لقد قصدت أن تسامحيني لأنني قلت لك ذلك بصوت عال أمام الجميع، يا جورجيت. لم أفعل شيئاً معيباً لك يجعلني أخجل من نفسي.»

أثارها هدوؤه. «حسناً، إن هذا مؤلم حقاً. هل يفترض بي أن أصدق بأن...»

أخرسها عناقه.

تنهد لوكاس وأخيراً وضعها على قدميها وضمها نحوه وأخذ يحملق بها كأنه لم يرها من قبل. «اللعنة عليك، يا جورجيت باينبريدج ما الذي يشدني إليك ويوقفني عن التصرف بلياقة. في فترة يومين أصبحت مسحوراً.» نظر إليها وهز رأسه. «أنا كبير في السن كثيراً لأشعر كهذا.»

همست جورج: «ولكنني لست كذلك.»

في هذه اللحظة عانقها لوكاس، وعرفت جورج أن ما بينهما علاقة حب روحانية، آه، لقد كانت تنتظر ذلك بفارغ الصبر وكانت تريده أن يحصل بكل قواها. منذ لحظة عبورها صالة فندق نورفولك، عندما كانت عيناه تخاطبان عينيها. أما الآن فمشاعرها تسبح في عالم السعادة. تنهدت معترضة عندما رفع رأسه وحملق بها بدهشة.

www.liilas.com

«يا الله! لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً.»

«لوكاس...» ولمست شعره الداكن. ولكنها لم تكن بحاجة لترجوه. وفقدت دفاعها... وكانت على استعداد لأن تستسلم لرجل ما كانت تعرفه...

«لوكاس!» كان صوت والتر قوياً في الخارج: «ماذا هناك...؟» ثم تململ وحملق بها وقال: «سآتي حالاً، يا والتر.»

«لا، لا تذهب.» كان صوتها حنوناً وخفيضاً، ومليئاً باللوعة. وما لبث أن أفلتها وذهب ليبحث عن ولاعة. رجته قائلة: «لا تتركني لوكاس.»

قال لها قبل أن يغادر: «أظن انه من الأفضل أن أجدك نائمة عندما أعود.»

«لوكاس، لقد انذرتك...»

«انني فقط أعاني من مشكلة بسيطة مع المصباح، يا والتر. والآن ماذا سنفعل في الغد...؟» وبعدها تلاشى صوته فيما هما يتجهان نحو خيمة الطعام.

غرقت جورج في سريرها ضعيفة في عواطفها المحبطة. ثم طوت رجلاها وعانقت نفسها، وضغطت رجلاها بشدة، كانت تلعنه بشتى اللعنات التي استطاعت أن تفكر بها لأنه تركها بحال كهذه.

لوهلة كانت جورج متأكدة من أن لوكاس يجب أن يعود إليها. ولكنه لم يأت، وكل ما تستطيع أن تفعله الآن هو أن تخلد للنوم، وحيدة. ثم سحبت الشرشف لتغطي نفسها. لمحت بالضوء المفاجيء عنكبوتاً صغيرة، كانت مستلقية بتوتر على الفراش. حملقت به جورج للحظة ثم وبسرعة رمته خارجاً إلى الظلام.

كانت تعلم بأنها لن تستطيع أن تنام. فهي لم تزعج نفسها لتحاول. بل تناولت الكتاب الذي أحضرته معها، مذكرات إبنة مطيعة. وبدأت تقرأه.

لم يصدر أي صوت عن لوكاس عندما صبّت جورج لنفسها فنجان شاي على ضوء المشعل، وأخذته معها إلى خيمة الغسيل حيث ارتدت سروال الجينز المفضل لديها، وأيضاً وضعت القميص تحته لكي تظهر تقاسيم جسدها وخصرها الرفيع. لم يعد مهماً أن تتنكر. فلقد انكشفت لعبتها، ثم مشطت شعرها وتركته يتدلى على كتفيها.

راضية عن النتيجة، رتبت سريرها. تململ لوكاس واستدار نحوها وسألها: «هل من الضروري أن تثيري ضجة كهذه؟» ثم ركن على سريره، وبديا بوضوح بأنه تمنى لو لم يتكلم.

«هل ترغب في فنجان شاي؟» سألته جورج متفحصة بهدوء تعابيره البائسة. لم تعرف في أي وقت متأخر قد زلت قدمه وسقط على السرير. لقد حاولت أن تتظاهر بأنها كانت نائمة ولوهلة رفضت الفكرة الجذابة التي طرأت عليها.

«هل يوجد معك أي شيء يمكنه أن يشفي الصداع؟»

قبل أن تجيبه أخذت من محفظتها علبة مسكن للألم، ثم صبت له كوب ماء وقالت له من دون أية رأفة: «هذه يمكن أن تساعدك.» لأنه هو الملام لما أصابه. لو أنه بقي معها لما كان الآن بهذه الحالة المذرية.

قال لها: «أنا أشك بأنها قد تشفيني.» ثم ابتلع الماء، واستلقى وهو يتأفف. ثم صبت له جورج كوباً من الشاي وتركته بجانبه.

www.liilas.com

جلست بجانب ضفة النهر وهي تنتظر بزوغ الفجر ثم ابتسمت بأسى. إنها فرصة حسنة لكي تستغلها. فرصة ملائمة لتنتقم منه لاهانته لها أمام الجميع ولتركه إياها...

ظلت جالسة في الظلام حتى أحست بأنه قد انتظم تنفسه وغفا. ودخلت إلى الخيمة وعيناها قد تعودتا على الظلام. حاولت أن لا تفكر بجسده الرياضي الذي رأت روعته فقط في صباح ذلك اليوم.

لقد تفحصت وجهه النائم. كانت تقاسيمه القاسية جميلة حتى وهو نائم. ثم بدأت تلامس خطوط فكه بأصابعها وبلطف. لقد فكرت به كما لو أنها ما كادت تعرفه، ولكن هذا غير صحيح. إنه جزء منها منذ أول لقاء لها معه. إن عناقه حرك مشاعر في داخله كانت تعتقد أنها الغضب، ويمكن أن يكون الغضب جزءاً من هذه المشاعر، ولكن من غير الممكن أن تبقى غاضبة على شخص لمدة ثلاث سنوات من دون أن يكون قد ترك أثراً عميقاً في قلبها.

خلعت عنه ملابسه المتسخة وترددت وهي تلاحظ تغيراً في تنفسه، ثم وهي تبتسم غطته بالشرشف.

تمتم: «جبانة.» قفزت لتجلس على سريرها، وخداها يحترقان.

بدأت من حولها العصافير تتحرك وتتململ الآن، وسمعت في الخيمة صوت شيء قد اصطدم. حملت آلة التصوير وركيزتها.

كانت تجلس حول طاولة الفطور تدوّن بعض الملاحظات حين ظهر لوكاس. كما لو أنه يتحداها بتعابيره لكي تحدق به. ثم جلس على كرسيه وبدأ يتلمس ذقنه الخشنة، كانت جورج متشوقة لتريحه، وتجعله يشعر بشكل أحسن. وهكذا فعلت.

سألته: «قهوة؟» لم يجب ولكنها صبّت له فنجاناً ووضعته أمامه وسمعته يتمتم بشيء وكأنه كلمة: «شكراً.» لكنها لم تكن متأكدة وسألته: «أيمكنني أن أحضر لك بعض الفاكهة؟» نظر إليها وغمز كما لو أن حركة وجهه كانت تؤلمه.

وضعت له كريفون في صحن ووضعته أمامه وقالت: «فيتامين سي، يشفي الصداع الذي يسببه الاسراف في السهر، أعتقد.»

«ما هو الدواء للذي يفرط في السيطرة على نفسه؟»

اهتز صوتها قليلاً وهي تسأل: «السيطرة على النفس؟»

«ألا تعتقدين بأنني سيطرت على نفسي كلياً عندما حاولت تقريباً أن تغويني الليلة الماضية؟» ثم فرك عينيه. «دعيني أخبرك أنستي، بأنني أكثر تهذيباً كرجل، منك كامرأة.»

قالت: «أعتقد بأن هذا مثير للشفقة.» ولكنها أحست بصعود الدم إلى خديها.

«هيا، يا جورج. لقد أجبرت على مشاركتي الخيمة. ولا أستطيع استغلال الموقف.»

«هذا ما قاله والتر، أليس كذلك؟» ولاحظت من تعابير وجهه أن ما خمنته هو صحيح.

«هل ترغبان بالفطور؟»

نظرت جورج إلى الخادم وقالت: «لا أظن أن السيد لوكاس يأكل هذا الصباح، يا كبوا. ولكن من الأفضل أن تجلب له بعضاً من القهوة.»

إنسحب لوكاس بتوتر، وعندما ظهر بدا بحالة جيدة، اما مزاجه فبدا يصرخ على كل من يمر بجانبه. ومن سوء حظ جورج أنها كانت جالسة بقربه معظم الوقت.

www.liilas.com

وجه ملاحظات جارحة لبيتش فقالت جورج لبيتش بأن تذهب وترتاح لبضع دقائق، ثم حوّلت نظرها لترى لوكاس قد اختفى، أخذت مرطباً وبحثت عنه، فوجدته جالساً تحت شجرة، نظر إليها وزم فمه.

«إمضي، يا جورج، إمضي، أريد أن أنفرد بنفسي.» ولكنها جلست بجانبه، متجاهلة كلامه وناولته المرطب.

سألته: «كيف أصبح رأسك؟»

«إنه يؤلمني.»

«هناك عدالة في الحياة.»

«ايتها الوضيعة.» قال من دون أن يشدد على الكلمة. «ماذا تريدين مني، يا جورج؟»

لدقيقة، كانت غاضبة جداً لتجيبه بما تريد بالضبط، ولكن هذا ليس الوقت المناسب أو الزمان.

«أريد أن تتصرف مثل المحترفين، يا لوكاس. هذا ما تتوقعه منا دائماً. ولكنك فعلت ويجب أن تدفع ثمناً لذلك. لقد جعلتنا نعاني كثيراً لوقت طويل.»

وقفت محاولة العودة من حيث أتت فأمسك بذراعها وقالت: «أرجوك دعني.»

تحدث عيناه عينيها بصمت، وترك ذراعها، ثم رفع رأسه ومرر يده في شعره الأسود وقال: «جورج، هذا سخيف. ماذا سنفعل.»

«نفعل؟» وبقيت متجمدة في مكانها، محاولة أن تبعد ذكرى عناقه ولمساته الساحرة. وقالت: «أنت من يستطيع أن يحكم بشكل أفضل، ولكن أتصور أن التصرف الأكثر حكمة هو أن نلتقط هذه الصورة ونعود إلى المخيم.»

• • •

سأل والتر مندهشاً في صباح أحد الأيام: «ألن تأتيا معنا لمشاهدة السباق؟»

حملق لوكاس مباشرة بجورج وقال: «لقد وعدت بحفلة نقل القرميد.» ثم نظر حول الطاولة وأردف: «تستطيعون الحضور جميعاً. كلما زاد العدد، كلما زاد السرور.»

لم يتطوع أحد لهذا العرض غير المثير ولكن والتر بدا مستمتعاً بالحديث وقال: «نقل القرميد لا يبدو مشهداً يلاءمك، يا عزيزي. أعتقد أنك تستمتع في سباق الخيل.»

«في هذه المناسبة عليّ أن أتخلى عن مشاهدة هذا السباق. فقط أحرص على أن تحضر لي دراجة نارية. أريد التقاط الصورة الأخيرة غداً.»

«سوف أبذل ما بوسعي.»

«لا أريد كل ما بوسعك، فقط قم بما طلبت منك. وخذ صحف الأحد إلى مايكل. يجب أن تصل إليه قبل الغداء.»

قالت جورج: ««تمتعوا بوقتكم، جميعاً.» وناولت كيللي مبلغاً ضئيلاً من المال وقالت: «ضعي هذا المال باسمي في أي شيء.»

فقالت كيللي: «في أي شيء أو من أجل الربح.»

قالت جورج: «من أجل الربح.» ثم استدارت وعادت بسرعة إلى الخيمة قبل أن تسمع أي تعليق من لوكاس.

لقد حاولا كل ما في وسعهما لتجنب البقاء معاً منذ عشية ذهابهما إلى نيروبي. فهو لم يعد ينام في الخيمة ولكن لم يعلم أحد بذلك. فقد كان يذهب في الليل لينام في اللاندروفر. وكانت تستيقظ هي عند الفجر ليدخل الخيمة ويغسل وجهه ويرتدي ملابسه.

www.liilas.com

ظنت جورج أنه لن يأخذها إلى حفلة المدرسة وأنه سيذهب إلى السباق مع الآخرين. ولكن بدلاً من ذلك بقيت بمفردها معه فمن الأحسن أن تكون جاهزة في أسرع وقت.

جمعت أغراضها عندما سمعت صوت محرك الجيب خارج المخيم. وتحققت من وجود كل شيء واستدارت لترحل.

كان لوكاس واقفاً في مقدمة الخيمة يراقبها. وعلى الرغم من أنه ارتدى ثياباً قديمة... بنطال جينز ممزقاً وقميص أسود قص كمّاه... إلا أنه بدا جذاباً.

كانت جورج تحاول السيطرة على عواطفها حتى لا تسمح بأي إشارة تدل على ما تشعر به. ولكن كان ذلك صعباً عليها.

«لقد رحلوا. وها نحن الآن بمفردنا.» ولكنه لم يكن يقصد أي شيء خطر. فأحست جورج برعشة.

قالت: «نعم. يجب أن نذهب نحن أيضاً.»

«ستحتاجين إلى قبعة.» كان يمسك قبعة بيده لم تعجبها.

«كان لدي قبعة رائعة ولكنك رميتها.»

قال بلهجة آمرة وهو يرمي القبعة باتجاهها: «ارتدي هذه القبعة.» وأضاف: «سنواجه أشعة الشمس اليوم وليس لدي وقت لانقلك إلى نيروبي إذا أصبت بضربة شمس.»

«لا تقلق، يا لوكاس.» وأخذتها من يده وأضافت: «أفضل أن أموت بين الأعشاب قبل أن أطلب منك أن تضيع وقتك بأي شيء تافه!»

اقترب منها، ولمعت في عينيه نظرة خطرة. «هكذا حقاً؟»

تراجعت جورج بسرعة محاولة التهرب منه ولكنها اصطدمت بعمود الخيمة «ما بالك، يا جورجيت؟ هل أنت متوترة؟»

ابتلعت ريقها. بالطبع، إنها متوترة. كانت وحيدة مع رجل ليس لأكثر من دقيقة ومع ذلك فهي وقعت بجنون في حبه. لقد بدا الجو مثيراً جداً. كلمة واحدة تكفي لكي تسقط بعدها في أحضانه.

نكرت، من دون أن يكون لانكارها أية فائدة: «لا، لست كذلك.» ومن دون مقدمات اقترب منها وعانقها بقوة. ثم شعرت بخوف وحاولت أن تقاوم وأخذت تضربه، فضحك وأمسكها من دون جهد.

اتكأت إلى عمود الخيمة كالفراشة التائهة. قالت وهي تلهث: «لوكاس...» ثم ترنحت فجأة فيما راحت تتمايل الخيمة عند العمود الذي اتكأت إليه. وابتعدا معاً بسرعة عندما تهاوى العمود بعيداً عنهما سنتيمترات قليلة ووجدت نفسها تحملق في وجه لوكاس الذي بدا مصعوقاً.

سألته: «هل هذا ما يقصدونه عندما يقولون بأن الأرض تحركت؟»

«شيء ما تحرك. وكأن السماء انطبقت. هل أنت على ما يرام؟»

«أجل. أعتقد ذلك.»

«بوانا؟ ميمساهب؟ هل أنتما هنا؟ هل أنتما على قيد الحياة؟»

«اللعنة!» ابتسم لوكاس. «المشكلة في هذا المكان أنه يوجد فيه الكثير من الناس.»

حسنت من هندامها قبل أن يخرجا من أنقاض الخيمة.

قال لوكاس معتذراً: «أنا آسف لذلك يا صديقي. ألا يمكن إعادتها؟»

قال الخادم: «يمكن، يمكن، لا عليك.»

www.bitaa.com

بينما كانا يمشيان باتجاه اللاندروفر أمسك بيدها وقال: «لم أكن أعلم أن الحب في الخيمة خطرٌ.»

هزت جورج برأسها وقالت: «أنا متأكدة أنه يعتقد أننا نلومه بسبب انهيار الخيمة.»

رماها لوكاس بنظرة غريبة وقال: «إذا كان هذا ما تفكرين به، فأنا لا أود أن أعارضك. ولكن أي واحد، عنده ذرة احساس سيدرك ما الذي جعل الخيمة تنهار.»

احمرت وجنتاها ثم وضعت القبعة على رأسها.

سألته: «هل هكذا أفضل؟»

«أنا أفضلك كيفما تكونين.» فتح لوكاس باب اللاندروفر لها وقال وهو يبتسم: «بما أنك سألت، أعتقد بأن عليك أن تعدلي أزرار القميص.» نظرت إلى قميصها فرأت أنها قد نسيت تزرير الزرين في أعلى قميصها. وكانت أصابعها ترتجف فلم تستطيع أن تزرر قميصها، وبدأ يعقد أزرارها، حاولت أن توقفه ولكنه لم يعرها انتباهاً وأكمل مهمته.

«يجب أن أشعر بالذنب لأنني فتاة أجبرت على مشاركتك الخيمة نفسها.»

عندما وصلا إلى مدرسة البلدة حياهما الأهالي واعتبروهما ضيفي شرف. أهدت جورج المدرسة مبلغاً نقدياً وفيراً، وجلب لوكاس الشراب ثم انضم للعمل معهم.

كانت جورج تراقبه باهتمام وسعادة عبر عدسة آلة التصوير، ونظر إليها وكانت عيناه تحرقانها من خلف العدسات الفضولية مما جعل الخجل ينتابها.

بعدها بدأت مجموعة من الفتيات بالرقص، فاتكأت جورج إلى لوكاس وأحست بسعادة لقربهما من بعضهما بعضاً

وأحاطتهما الفتيات لاقناعها بالرقص معهن. رفضت بادىء الأمر ولكنهن أجبرنها على ذلك، فرقصت معهن وتبعها لوكاس. رقصا كثيراً حتى شعرت جورج بالتعب ففضلت الجلوس.

سألها: «لديك فكرة، أليس كذلك؟»

«فكرة؟ عمّ؟»

«كل الأشخاص هنا يعتبروننا مخطوبين.»

«أنت خططت لذلك.» كان ذلك هو الجواب المنطقي الوحيد الذي استطاعت أن تتفوه به، ولكنها تمنت لو أنها لم تفعل.

حاول لوكاس أن يبدو مغتاظاً وقال: «كان يجب عليّ أن أرقص بجهد حتى أجاريك. ذلك الفتى حاول أن يخرجني من الحلبة.» وراقب وجهها الذي ما يزال متورداً وتابع قائلاً: «ربما أنتِ تفعلين ذلك؟ أو هل تكلم عنك شخص للتو؟ أو ربما الرجل صديقك الذي كتبت له؟»

«بوب؟» وللحظة أرادت أن تضحك لكن نظرته أوقفتها. قبل أن تتمكن من الشرح، كانا قد دعيا للانضمام للاحتفال ولكن طالما ما يزالان قادرين على مغادرة الاحتفال بوقار. أخذ يدها بحزم بيده.

«إنه وقت العودة، يا جورج.»

www.liilas.com

الفصل الثامن

لم تقم جورج بأية حركة لتقاومه، بل جعلته يقودها إلى الجيب. وكانت الشمس قد بدأت تغيب، وسطعت نجمة في السماء السوداء المظلمة، فيما هما في طريقهما للمخيم. أمسك لوكاس بيدها.

كان المخيم مظلماً عندما وصلا. قال مازحاً: «أخيراً بمفردنا.» ثم أنزلها من الجيب وهو يمسك بها بخفة للحظة ثم شدها نحوه، وجعلها تشعر كم يريدها.

سألها بنعومة: «حسناً؟» كان سؤاله متضمناً كل الاحتمالات التي أمامها. ولكنه لم يقم بأية حركة لمراودتها، إذ يجب أن يصدر القرار منها، وحدها. لن يستغل مشاعرها نحوه ليؤثر عليها. وقفا معاً وهو يحيطها بذراعيه بينما كانت تدرس قرارها الفريد. لم تكن المرة الأولى التي تجد نفسها في مثل هذا الموقف. ولكن الذي كان فريداً حقيقة أنها تتوق لأن تقول نعم.

وضعت ذراعيها حول عنقه.

قال بصوت أجش: «آه، يا حبيبتي.» ثم عانقها بحنان.

«هل بامكاننا؟» واحمرت خجلاً من سؤالها ثم أضافت: «هل بامكاننا أن ناكل معاً؟ أولاً؟»

طبع قبلة على جبينها، وبدا جدياً للغاية ثم قال: «لا أستطيع أن أتصور أن هناك أي شيء أرغب به أكثر من الأكل معك.» ثم ذهب وأحضر الأغراض من الجيب حملها إلى الخيمة ويده

الأخرى ملتفة حول خصرها. «انتظري، سوف أضيء المشعل.»

عندما أضاء المشعل، لاحظت جورج أنه حمل معه الجريدة التي أخفتها في الجيب، فمشت لتأخذها، لكنه حملها مع آلة التصوير.

«سأجلب مشعلاً آخر.» ونظر ليرى بماذا تحملق جورج. قال من دون حماس: «هل تريدين هذه؟ ولكنها قديمة.» وللحظة ظنت أنه لن يرى شيئاً. ثم لمح الصورة. جموده جعل قلبها ينسحق وبدأ وجهه يفقد لطفه وحبه كله.

«هكذا إذن، يا جورجيت الجميلة. لقد وضح كل شيء الآن، الآن فقط عرفت سر قدومك، مع أنك لا ترغبين بالقدوم، ولا تعرفين لماذا أتيت. أخبريني، هل لديك دفتر مذكرات؟ فربما تودين كتابة شيء عن لوكاس المتكبر الذي أوقعته في شباكك؟» ونظر إليها وتابع: «حسناً، راقبيني ربما هذا كل ما يجب عليك القيام به. لأن ذلك هو كل ما يدور حوله الموضوع حتى تسترجعي رضى والدك، أليس كذلك؟ ماذا فعل لك، يا جورج؟ تركك من دون أي فلس ليعاقبك؟»

«أبي...» أرادت أن تخبره وتشرح له عن المشردين، وماذا يعنون لها، ولكنه لم يمنحها أيّة فرصة.

«أين ذهبت معتقداتك وأخلاقك، ماذا فعل بها؟ هل رميتها جانباً حتى يسامحك والدك؟» وتجاهل اللون الأحمر المهيب الذي علا وجنتها، فاقترب خطوة منها وقال: «هل هكذا تتصرف العذراء المرتعشة والخائفة؟ تريدين اسعادي بأي ثمن! لقد فعلت كل هذا لتبقي هنا، كنت مستعدة لفعل أي شيء، لدرجة خلع ثيابك، والآن ها أنت حاضرة لإقامة علاقة معي... يا لها من

www.liilas.com

مزحة!» تراجعت جورج إلى الوراء مرتعبة. «المثالية، شيء يموت بعض الناس لأجله، يا جورج.»

لم يعد لديها أيّة رغبة في الشرح أو الدفاع عن نفسها، لم يعد يهمها ما يفكر به، كل ما يهمها الآن أن تجرح مشاعره كما فعل.

«لا تكن ميلودرامياً، يا لوكاس. لا أحد يتحسر لأجل تقويمك!» ثم تابعت: «ومن قال لك إنني بريئة؟ لقد قلت لك إنني أتشارك المنزل مع أصدقاء لي. وهم بوب ترنير، وجف وتاتي وآلن.»

سألها باحتقار: «هل هؤلاء هم جميعهم؟»

لمعت عيناها البنفسجيتان وقالت: «آه، لقد نسيت عزيزي جاي. كيف استطعت أن أنساه؟»

نظرت جورج إلى الخلف، وأحست فجأة بخوف مما قالت. فامسكها بذراعها وقال: «إذن صديق آخر لن يشكل أي فرق، أليس كذلك؟»

«اللعنة عليك، يا لوكاس، إذهب إلى الجحيم!» تحررت من قبضته ثم ركضت في الظلام واتجهت نحو الجيب، وعزمت على الرحيل. ولكن الشكل الأسود الذي رأته كان سراباً وارتدت على عقبيها مبتعدة عن أحواض الشوك، وما كادت تشعر بالخدوش لشدة ذعرها.

«آه، يا إلهي! جورج! عودي. أين أنت بحق الله؟» ظلت تركض في الظلام والدموع الساخنة تعمي عينيها عن كل شيء سوى الرحيل والهرب منه.

«جورجيت! لا تكوني حمقاء. أنا آسف. لم أكن أقصد ذلك. إبقي في مكانك، بحق الله، وأنا سأجدك.»

ما كادت تسمعه فقد كان صوته يوقظ فيها إحساساً بالخوف. وظلت تركض حتى مر طائر من أمامها جعلها تتوقف مذعورة. وتجمد الدم في عروقها، ليتها تستطيع الصراخ، ولكن لم تكن تستطيع.

تسمرت في مكانها. لقد قال لها ألا تخاف. كانت النجوم في السماء متلألئة، إنه خوفها فقط الذي يعميها. وبدأت الأشكال تتراءى لها، تدريجياً ثم أحست بحيوانٍ يقترب، ولكنه ما لبث أن رحل.

ليتها تستطيع الوصول إلى المخيم بمفردها، ثم ترحل بالجيب إلى نيروبي. وخطت خطوة واحدة نحو المخيم، ولكنها فوجئت بخفاش هجم عليها، ولمس خدها فصرخت صرخة، دوّى صداها في كل المكان.

«إبقي في مكانك، أنا قادم إليك.»

«لوكاس!» صرخت مرة أخرى.

«أنا قادم، يا جورج. لا تخافي، يا حبيبتي. سأجدك.» واستدارت لترى من أين يأتي صوته؟ ثم سمعته يشتم وسمعت صوتاً آخر، صوت تحطم شيء ثقيل يقع على الأرض.

«لوكاس؟» ثم أنصتت لتسمع: «لوكاس؟» ولكن لم تسمع سوى صدى صوتها.

«لوكاس أرجوك لا تخفني هكذا!» ثم سمعت أنين شخص يتألم.

نادته مرة أخرى، والخوف ينتابها، ولكن هذه المرة ليس على نفسها بل عليه. ووقفت للحظة محاولة أن تتذكر الاتجاه الذي أتى منه.

«لوكاس؟» كان صوتها يرتعد وسألت: «أين أنت؟» إنها ترى

www.liilas.com

الآن أكثر مما أدركت، أو أن الرؤية أصبحت واضحة بعد أن بدأت تتغلب على خوفها، لتجده وتساعده.

لقد أضاعته كلياً. وبدأت تبحث في الظلام، إلى أن لفت نظرها انعكاس وجهه الأصفر، وأسرعت نحوه ورأته مستلقياً على الأرض. لقد وقع وصدمته صخرة كبيرة. وقفت وصرخت طلباً للمساعدة وكادت أن تقع في الحفرة التي وقع لوكاس فيها.

«آه، يا حبيبي، ماذا فعلت لك؟» وعضت على شفتها. لم يكن هناك أحد ليساعدها، ويجب أن تفعل ما بوسعها لإنقاذه. ما تحتاجه وما تريده هو قطعة قماش. ومن دون تردد، خلعت قميصها واستعملت الأكمام لتربط ركبته معاً، وانحنت لتحس نبضه. لم يكن كما عهدته، وتنفسه لم يكن على ما يرام. يجب أخذه إلى المستشفى في فيروبي حالاً. فتح عينيه قليلاً ثم قال: «جورج؟ هل أنت بخير؟» حاول أن يقترب منها.

«لا تتحرك، أرجوك. أعتقد أنك كسرت كاحلك، لا تحاول التحرك. يجب أن أعود إلى المخيم لأحضر مساعدة.» كانت خائفة إذا ذهبت أن تفقد طريق العودة. ولكن عليها أن تحاول. وركضت باتجاه المخيم، إذا وقعت بأية حفرة، فلن يستطيع أحد أن يساعدني أو يساعد لوكاس.

أخذت قميصاً من حقيبتها لتغطي نفسها به، وبدأت تفكر بالخطوة التالية. يجب إعادته إلى المخيم وفجأة خطرت لها فكرة أخذ السرير النقال، ستكون فكرة حسنة أن تنقله عليه. ولكن هل تستطيع حمله.

«ميمساهب؟» نظرت جورج بسرعة إلى كبوا. وبسرعة شرحت له كل شيء. وحمل كبوا السرير إلى لوكاس. ثم حمل

المشعل، وتفحص حالة لوكاس، ثم بدأ يعطيه تنفساً اصطناعياً.

«إنه بحالة سيئة!»

لم يكن بحاجة لإخبارها، فقد كانت تعلم ذلك عن كثب. إنه يشبه الأموات، وكأنه فقد نضارته وشبابه إلى الأبد. وحاولا نقله إلى الجيب.

أحاطه كبوا بذراعيه، وقال: «اعتني برجليه فقط.»

بدا الخادم يبذل جهداً كبيراً لرفع الجسم الثقيل. ثم وضعاه في الجيب.

«شكراً لك، يا كبوا.» قالت بامتنان وسألت: «هل تستطيع القيادة؟»

«أجل. ميمساهب.»

«إنتبه إلى الطريق الوعرة. سوف نسرع على الطريق العام.»

«سوف أنتبه، ميمساهب. أنت اعتني بمسز لي.»

شعرت أن كل حجر وكل عثرة وكل خبطة للجيب فوق الطريق الوعرة كأنها تهدد رأسه الملقى في حضنها لتحميه من ضربات أسوأ، فيما هم يسيرون بين الأدغال ببطء معذب. بللت قطعة قماش بالماء ووضعتها فوق جبينه. ثم صاحت: «ألا تستطيع أن تسرع؟»

نظرت إلى لوكاس وهمست يائسة: «لوكاس هيا، يا حبيبي، استيقظ، استيقظ فأنت غائب عن الوعي منذ فترة طويلة، استيقظ وسأخبرك عن بوب العجوز. وعن الباقين. هل تستطيع سماعي؟ لم أقم معه علاقة. لقد كنت محقاً عندما قلت عني إنني عذراء أصلية، وإذا لم تعد إليّ أستطيع أن أبقى كما أنا بقية أيام حياتي. أنا بحاجة لك لتنقذني.» أحست بدموع تنهمر من

www.liilas.com

عينيها ومسحتها بعد أن تساقطت فوق وجهه وتابعت كلامها: «سأفعل كل ما تريد. أستطيع أن أحمل لك آلة التصوير وأرافقك إلى أي مكان.»

حملقت به متسائلة عن وضعه وقالت: «أنت الوحيد الذي أريد، يا لوكاس.» ربتت فوق وجهه ثم نادته: «لوكاس.» وبعد تردد لثمت شفتيه لتزرع الأمل والحياة فيه مجدداً.

غطته بسترة لأنها لم تكن قادرة على إيجاد دثار. عندما نظرت إليه مجدداً، لاحظت بأنه يستعيد وعيه وسألها: «أين نحن؟»

«حبيبي. حاول أن تهدأ.»

في المستشفى أدخل لوكاس غرفة الطوارىء تاركاً جورج وكيوا في حالة قلق.

أخيراً ظهر طبيب وقال: «أصبح صديقكما على أحسن ما يرام، هناك رضوض، والحمد لله لا يوجد كسور وكاحله أصيب أيضاً. تستطيعان أن تلقيا نظرة عليه. قبل أن ينقلوه إلى الجناح الجانبي ولكن أسرعا.»

كان لوكاس نائماً يئن من الألم، ولكنه لم يكن غائباً عن الوعي.

«كيف تشعر؟»

«كيف أبدو؟»

«بحالة سيئة؟ من الأفضل أن تخلد للنوم.»

«لا تذهبي. أعطني قبلة أخرى.» تضايقت جورج من وجود الممرضة، ولكن القبلة كانت أقل شيء ممكن أن تمنحه إياه.

اقترحت الممرضة قائلة: «لما لا تبقين معه؟»

«يجب أن أخبر أصدقاءنا بما حصل. فهم لا يعرفون حتى أننا هنا.»

أعطتها الممرضة ورقة، فكتبت جورج رسالة إلى والتر، ليحملها كبواله. وبعد أن أنهت الكتابة، وأعطتها لكبوا، اتجهت نحو الغرفة المخصصة للوكاس، وكان راقداً في الفراش. «لقد نام الآن. ولكن إذا أردت أي شيء، اقرعي الجرس فقط.» تأكدت جورج أن لوكاس قد نام، فأعدت كرسياً كبيراً في الزاوية لتنام عليه وأحضرت لها الممرضة دثاراً ووسادة وقدمت لها شراباً وقالت: «من الأفضل لك أن تتناولي هذا فأنت لست على ما يرام.»

«شكراً.» شكرت الممرضة ولكن لم تعد قدماها تحملانها فساعدتها الممرضة على الاستلقاء وشرب السائل.

لم تستطع النوم وظلت الأحلام المزعجة تقض مضجعها، وكانت تسمع وقع خطوات الممرضة، وهي تتفقد لوكاس. بعدما ظهرت خيوط الفجر البنفسجية حاملة معها نهاراً جديداً. استيقظت ثم بعد دقائق حضرت الممرضة وقدّمت لها كوباً من الشاي وقالت: «اشربي هذا، لتستطيعي أن تستيقظي. ثم يمكنك أن تأتي معي لتغسلي وجهك.»

«شكراً. لا شك أنني أبدو قذرة.»

لم تستطع أن تفعل شيئاً إزاء ملابسها، فقد كانت مغطاة بالوحل، ولكنها أخذت حمّاماً علها ترتاح قليلاً.

سألت الممرضة: «هل تشعرين بتحسن؟» من دون أن تنتظر جواباً، أضافت: «حضري لنفسك بعض التوست في المطبخ إذا أردت.»

«شكراً، ولكنني أفضل العودة لغرفة لوكاس.»

www.liilas.com

«الطبيب معه.» وابتسمت: «سيكون على أحسن ما يرام.»

«هل أنت واثقة؟»

«أجل، تمام الثقة.»

توجهت جورج نحو المطبخ وحضّرت لنفسها بعضاً من التوست. نظرت جورج بقلق عندما رأت الممرضة تدخل.

«هل أستطيع...؟»

«اصبري. فأريد أن أحممه أولاً، إلا إذا كنت تودين القيام بذلك.» لكنها هزت رأسها نفياً.

«هل هو مستيقظ؟»

«أجل. عندما يرتاح قليلاً، سأناديك.»

تساءلت جورج عمّا يمكن أن تفعله لمساعدته. ولكن فكرة واحدة سيطرت على كل شيء، حقيقة أن لوكاس ما يزال غاضباً منها. حسناً، هي أيضاً لا تستطيع أن تلومه.

سأل والتر باهتمام: «عزيزتي جورج، هل أنت بخير؟»

«أنا بخير، ولكن لوكاس...»

«هل حالته سيئة؟ أين هو؟»

هزت رأسها وقالت مؤكدة: «لا، لا. إنهم يحمّمونه.»

«سيكره ذلك كثيراً.»

نظرت جورج إليه باستغراب وبدأت بالبكاء فجأة.

«اهدئي، يا صغيرتي.» ناولها منديلاً كي تمسح دموعها وأضاف: «من الأفضل أن تخبريني بما حصل.» أعطته صورة مبهمة عما حصل.

«لن يتمكن لوكاس من إتمام التقويم. للأسف، لم يتبق سوى لقطة واحدة. لن يصدر تقويم قطع الغيار هذه السنة.» قال

والتر بحسرة وأردف: «لقد كان موسماً مليئاً بالكوارث.»

«سأفعل أنا، إذا أمكن.»

رأت بريق أمل في عينيه لكنه ما لبث أن زال. «هذا جميل منك، ولكن هل تعتقدين أنك تستطيعين ذلك؟»

«أنا لست محترفة، ولكن سأجرب ذلك. وليس لديك ما تخسره.»

«سأرى ما الذي يقرره لوكاس. هل تأتين معي لرؤيته؟»

«لا أظن ذلك. سوف أنتظرك هنا.»

جلست جورج بصمتٍ، تحملق إلى خارج النافذة، لكنها لم تر شيئاً. كل شيء كان واضحاً، فكرت لو أنها كانت صادقة معه منذ البداية، لما حصل أي سوء تفاهم.

مر الوقت ببطء قبل أن يعود والتر وهز رأسه للسؤال الذي بدا في عينيها.

«لا يريد سماع شيء عن ذلك. سنترك المخيم، وسيرحل الجميع، ما عداي، على أول طائرة.»

اعترضت قائلة: «ولكن هذا سخيف!»

«أنا أوافقك الرأي. فربما استطعت ذلك وكسبت مجداً. وكما قلت، ماذا لدينا حتى نخسره؟ وبالمناسبة، سأرى مايكل ما دمت هنا. هل تأتين معي؟» استدار ومشى، ولحقت به وهي تخبىء غضبها. لم يستطع أن يدرك أن ما تريده ليس مجداً وشهرة، بل أن تضع الأمور في نصابها الصحيح.

قال مايكل: «مرحباً يا عصافير الصباح.» ووضع الصحيفة جانباً، ثم نظر إلى جورج عن كثب وقال: «تبدين متعبة، يا جورج. هل يزعجك الرجل العجوز؟»

www.liilas.com

أجابته جورج بابتسامة: «لا، على العكس، فهو يعاني من رضوض وآلام في كاحله.»

«هل هو هنا؟»

هز والتر رأسه وقال: «إنه في غرفة بمفرده، ولكنهم سينقلونه إلى هنا عاجلاً.»

«آه، حسناً. سأحظى برفقة.»

نظر مايكل إلى جورج وقال: «لن أريه جريدة الأمس، إذاً. هل تصفحتها؟» هزت جورج رأسها نفياً. ناولها الصحيفة ومرت لحظة قبل أن ترى الجزء الذي أدهش مايكل.

المصور الأول في العالم لوكاس، يصور حالياً موقعاً في كينيا، برفقة أجمل العارضات، لتصميم تقويم قطع الغيار ومعه مساعد جديد. الآنسة جورجيت باينبريدج، ابنة المليونير، مدير شركة المحركات. السيد تشارلز باينبريدج، والتي انتقلت للعيش معه في خيمته. هل يجدر بنا الافتراض، بأن جورجيت، جورج بالنسبة لأصدقائها قد غيّرت نظرتها في المساواة؟ سوف نطلعكم على كل جديد.

كان يوجد نسخة مصورة عن الصفحة الأمامية من الأسبوع الفائت.

ارتعبت جورج وهمست قائلة: «أرجوك لا تدعه يرى هذا!»

ابتسم مايكل وقال: «ابقيها كذكرى، إذا أحببت.»

«ما هي التي ستبقيها ذكرى؟» قفزت جورج عند سماع صوته. نظرت إليه فرأت عينيه ذابلتين فيما سُحب سريره إلى جانب سرير مايكل وأضاف: «إذاً لقد أضفت مايكل إلى قائمة ممتلكاتك.»

وضعت الصحيفة خلف ظهرها وقالت: «عليك أن تسأله. كيف حال رأسك؟»

«يؤلم. قال الطبيب أن علي أن أشكرك.»

«لا يا لوكاس، لا تفعل هذا. لقد جرى كل هذا بسببي.»

«هذا ما أخبرته للطبيب. يا إلهي، كم أنا متعب.»

تحركت جورج بسرعة وأخذت الكوب عن الطاولة. استند لوكاس إلى الوسادة، وشرب الماء.

«أنا آسفة، يا لوكاس.»

«هل أنت حقاً؟ لماذا؟ لقد حصلت على ما تريدين. والآن تستطيعين أن ترحلي لرؤية بوب.» ثم لوى فمه باشمئزاز وتابع قائلاً: «أو آلن أو جاي أو تاتي. أو بالأحرى كلهم.»

«ساترك الاختيار لك. كم من الوقت ستمكث هنا؟»

«هل هذا يهم؟»

وقف والتر وقال: «من الأفضل أن نذهب، يا جورج. لدي بعض الأعمال.»

نادى لوكاس خلفهما بوهن: «سوف أحصل على صحيفة من مكان ما.»

قال والتر لها: «لا أعرف ماذا حصل ليلة البارحة يا جورج، ومن الأفضل، على ما أعتقد أن لا أعرف، ولكن لا يبدو أن لوكاس قد وقع وأصاب رأسه وكسر كاحله فقط. أليس كذلك؟»

«لقد ظننت أنك لا تريد أن تعرف يا والتر؟ هل لنا أن نذهب الآن؟ فلدينا أمور كثيرة يجب أن نفعلها. هل أحضرت الدراجة النارية؟»

«من الأفضل أن أتصل بوالدك وأخبره بما حصل.»

«لا. لا تفعل هذا. فأنا سأحاول إصلاح كل ذلك.»

www.liilas.com

«أجل.» ابتسم وكأنه تفهم الأمر فجأة وأضاف: «أيها الرئيس.»

علمت الفتيات بالقرار ووافقن على المضي وكان شيئاً لم يعق العمل. وعلمت كيللي من صديقها عن كلام الصحيفة وأقسمت لجورج أنها لم تقل شيئاً عنهما للصحافة. وشعرت جورج بالأسف عليها وقالت كيللي: «لم أقل كل ذلك، يا جورج لم أكن أعلم أنك من الداعيات إلى المساواة. فكيف يمكنني؟»

«لا، بالطبع لا. ولكن حاولي أن لا تقولي شيئاً عني على الإطلاق. فهذا أسلم.»

«حسناً، آه، لقد نسيت لقد ربح الجواد الذي راهنت عليه باسمك!» ومدت القسيمة نحو جورج المصعوقة.

سألتها: «ماذا سأفعل بكل هذا بحق السماء. فأنا لا أستطيع أن أخرجه خارج البلد.»

قالت بيتش: «تستطيعين توظيف مصور محترف.»

قال والتر: «لنصور لقطة الدراجة النارية، وبعدها نستطيع أن نذهب كل واحد إلى منزله.»

جلست بيتش على الدراجة النارية السوداء وأظهرت نعومة وجمالاً خارقين. تجاهلت جورج ذلك الجمال وحاولت التركيز على الأضواء والزوايا. ثم أخذت عدة لقطات وهي تراقب بيتش بانتباه عبر العدسات، وبدأ المشهد يصبح بشكل تدريجي كما أرادت. ضغطت على آلة التصوير الأتوماتيكية، فصورت المشهد.

صرخت جورج فرحة: «ها نحن قد انتهينا.» وخرج والتر يبتسم ابتسامة عريضة.

قال والتر وهو يساعدها في حمل الركيزة: «لم يكن لوكاس يستطيع أن يصورها صوراً كهذه!»

قالت جورج موافقة: «لا أظن أن بيتش قد سبق لها وصورتها امرأة من قبل. لقد رأيتها كيف تعمل مع لوكاس. لقد كانوا يطلبون منها مشاهد إغرائية عبر العدسات. إنه شيء حسن طالما هو ينفع، ولكنه ليس شعوراً حقيقياً. الآن، ما شعرت به اليوم كان حقيقياً.» ثم ابتسمت وأضافت: «أعتقد أنني لست مثلها.»

شعرت بالكآبة فجأة. وفكرت، في هذه اللحظة: أنا لا أشعر أنني مثل أحد.

www.lilas.com

الفصل التاسع

عندما انتهوا من التصوير، كان الوقت أصبح متأخراً، فلم يستطيعوا الرحيل. ذهب والتر إلى نيروبي ليحجز مكاناً للسفر في اليوم المقبل. عاد متأخراً حيث كانت جورج بانتظاره.

«كيف أصبح؟»

«إنه أفضل مما كان عليه في الصباح، لكنه ما يزال يشعر ببعض الألم أحياناً. وربما سيترك المستشفى غداً إذا تحسنت حالته.»

تنهدت جورج وقالت: «هل قلت له إننا سنعود جميعاً إلى زيارته الليلة؟»

«لا. لقد قلت غداً، بدا كالمجنون لأن أحداً لم يأت لزيارته.» نظر إليها وابتسم وأضاف: «لا. ذلك ليس صحيحاً. لقد جنّ جنونه لأنكِ لم تأتِ أنت لزيارته.»

«لا تكن سخيفاً، يا والتر.» لا يوجد أي سبب يدعوه إلى رؤيتها إلا ليقول لها رأيه بها وهي تعلم ما هو رأيه.

«من السخيف؟ عندما قدمت له اعتذارك وقلت له إنك مشغولة، ذلك لم تأت، غضب وشتم.»

ابتسمت وقالت: «سأخلد للنوم الآن، تصبح على خير.»

لم تستطع النوم، فاستلقت وبدأت تتخيل لو أن لوكاس لم ير الصحيفة تلك الليلة، لكانت الأمور ستجري على أحسن ما يرام. أمسكت كتابها بحركة متوترة، ولكنها لم تستطع التركيز على الكلمات. كانت حنجرتها تؤلمها بدموع حاولت جاهدة أن لا

تذرفها. لقد أرادته وتريده وكرهت نفسها لضعفها هذا. جاء الصباح وكأنه مساعدة مباركة. مع ضوء النهار تستطيع أن تغادر الخيمة الضيقة وتحضّر المعدات للمغادرة.

سألت: «أين كيللي؟» وأعدت لنفسها القهوة في الخيمة المشتركة.

قالت سوزي: «إنها مريضة. تشعر بالتعب.»

قالت بيتش: «ستتحسن حالتها.»

قال والتر: «أعتقد أن كلام الصحف عنك صحيح. إنك عنصرية في الصميم. إنني أرى لماذا أنت ولوكاس قد تخاصمتما.»

«ليس لهذا السبب تخاصمنا، يا والتر.»

«لا. يا عزيزتي، لم أعتقد أن ذلك هو السبب ولو للحظة.»

نامت في طريق العودة للبيت. وفكرت وهي تستيقظ على ضوء لندن الخافت، أن النوم أصبح عادة عندها.

كان هنري ينتظرها وسألها: «هل استمتعت برحلتك؟»

«رائعة، شكراً، يا هنري.» ثم نظرت حولها. «هل يرغب أحدٌ أن ننقله معنا إلى لندن؟»

كانت كيللي قد اختفت مع صديقها وبيتش كانت واقفة مع رجل مسن، يبدو كأنه والدها أو جدها.

قال مارك: «لا شكراً.»

لكن آمبر وسوزي ركبتا السيارة ونزلتا عند محطة واترلو.

«إلى أين سنذهب الآن، يا آنسة؟ إلى بادينغتون؟»

«أجل، يا هنري، شكراً.»

أخذ السائق مغلفاً من جيبه وأعطاها إياه «لقد قال لي السيد

www.liilas.com

باينبريدج أن أسلمك إياه. ولم أعتقد أنك تريدين قراءته أمام الفتيات.»

أخذت جورج المغلف وسألت: «شيء سيّيء؟»

«لا أستطيع القول.»

فتحت المغلف، كان هناك بعض الأوراق المرسلة من والدها، دفتر شيكات وبعض بطاقات الاعتماد. ورسالة وجريدة، قرأتها وأصابعها ترتجف.

«عزيزتي جورج، أعتقد أنني تأملت كثيراً عندما اعتقدت أنك ستكونين بعيدة عن الصحافة. وأنت على بعد ستة آلاف ميل. أعتقد أنه عليك أن تقدمي تفسيراً منطقياً كالعادة، ولكن إذا أردت مني أن ألمع البندقية، فقط أخبريني بذلك. بما أنك قمت بكل ما طلبت منك فقد ذخرت لك كل المال حتى تستلمينه باليد. تعالي لرؤيتي فور شعورك بالاستعداد لبدء العمل. لقد كنت كسولاً عندما كنت بعيدة عني ولدينا الشيء الكثير لمناقشته.»

والدك المحب.

فرّت دمعة من عينيها وسقطت على الورقة فبهت لون الحبر وجرى ثم امتصته الورقة.

كان البيت في بابينغتون بارداً ومظلماً. ارتجفت جورج عندما وصلت إلى القاعة الكبرى. رأت ورقة معلقة، إنها من بوب.

«لقد طردنا من المنزل.» وناولت الورقة إلى هنري وقالت: «لقد كانت هذه غلطتي، يا هنري. لقد قال إنه سيتوقف عن المراهنة. ما كان يجب أن أعطيه بدل دفع الفواتير.» والرسالة التي بعثت بها له ليطلب المساعدة من بيشوب كانت مع الرسائل

المغلقة في يدها. وقالت: «سوف يعود، ويعتذر، عندما يكسب عدة باوندات.»

«ولكن لا يمكنك البقاء هنا، يا جورج.»

«سأكون بخير. وأرجوك، قل لأبي إنني سآتي خلال يومين.»

كان المنزل في حالة من الفوضى فالأرض موحلة والصحون مليئة ببقايا الطعام. كانت تحتاج لتنظيف المنزل. لقد استغرق تنظيفه يومين من العمل المتواصل. وكانت تنظف مرآة الصالة عندما رنّ جرس الهاتف.

«جورجيت باينبريدج.»

«جورج؟» قال والدها مندهشاً.

«مرحباً، يا أبي.»

«هذه أنت. هل أنت بخير؟ لم أسمعك قط تعرّفين عن نفسك باسمك من قبل.»

«آه! حقاً؟»

قال مؤنباً بلطف: «هيا، متى تأتين لاطلاعي على مشاريعك؟ لقد ظننتك تقرعين باب منزلي الآن. وأنا فعلاً مشتاق إليك. هل تأتين اليوم بعد الظهر؟»

ألقت نظرة على نفسها بالمرآة النظيفة وتنهدت. يومين من العمل المتواصل، كنست ونظفت المنزل وغسلت النوافذ. لقد أصبح منظر البيت رائعاً لكن وجهها بدا أصفر اللون ومتعباً. وأحاطت بعينيها دوائر سوداء. «لا أظن أنه من الممكن اليوم، ربما في يوم آخر.»

«هل أنت بخير؟ أنا لم أعطِ أي اهتمام لتلك الصحيفة، يا جورج. لقد بعثتها ظناً مني أنك لم تقرئيها. أما بالنسبة لليوم...»

سألت متلهفة: «هل صدرت صحيفة أخرى اليوم؟» وشعرت بخفقان شديد في قلبها.

«ألم تريها بعد؟» ضحك والدها وأضاف: «حسناً، لو أنني فكرت جدياً أنك اشتركت في رقصة خطوبة محلية، لكان يتوجب عليّ أن أكلم لوكاس قليلاً عن مقاصده. ومع ذلك أقول إن الصورة مقنعة كفاية.»

«حقاً؟ يجب أن أبتاع واحدة، أظن أنها مثيرة للاهتمام. ويجب أن أبقى بعيدة عن لوكاس. فقد غضب كثيراً لأنك رميتني عليه، وذلك لأنه لم يكن هناك مكان شاغر سوى في خيمته.»

ضحك والدها ضحكة قصيرة وقال: «لا بد أنه فقد سطوته فلوكاس الذي أعرفه يكون أسعد في ظروف كهذه.»

أرادت جورج أن تبدل الموضوع فقالت: «هل أراك غداً؟ ونتناول الشاي. لقد حلمت بذلك.»

«في الريتز؟ الساعة الرابعة.»

«رائع.» أقفلت الخط بسرعة وعاودت النظر إلى نفسها في المرآة. لو رآها والدها هكذا، من الممكن أن تتكون لديه فكرة خاطئة عمّا فعلته جورج في خيمة علاّب وزير نساء في الأدغال.

قالت لنفسها: حسناً، يا جورج تبدين تعبة، من الأفضل أن لا تدعي ذلك يصبح عادة ويسيطر على حياتك.

ما أن وضعت السماعة في مكانها حتى رنّ الهاتف مرة أخرى.

«جورج؟»

ابتسمت جورج عندما تبينت صوت كيللي. «مرحباً، يا كيللي، كيف حالك؟»

«آه، بخير. حقاً بخير. لكن أريدك أن تعلمي أنني لست أنا من

أخبر، ولم يخبرني جون من أعطاه الصورة، ولكنني لم أكن أعرف شيئاً عنها حقاً. لم أكن أعلم.»

«كيللي، أرجوك اهدئي. أنا أعرف ذلك. هناك شخص واحد يمكنه فعل ذلك فقط.» ظلت كيللي تؤكد عليها ذلك وأخيراً علّقت الهاتف على أمل بقائهما على اتصال دائم. وقفت جورج ونظرت إلى الهاتف منتظرة أن يرن ويكون لوكاس، لكنه لم يفعل، فشعرت بخيبة أمل شديدة.

أمضت فترة بعد الظهر في حمامات السونا، وبعدها ذهبت إلى المزيّن. وفي اليوم التالي دارت على محلات الألبسة وابتاعت لنفسها بعضاً منها.

لقد أعجب والدها بابنته الرائعة والأنيقة، في ثياب وهيئة جديدتين.

قال والدها معترفاً: «تبدين رائعة.» ثم صافحت حدقتاه وأضاف: «هل أنت تعبة بعض الشيء؟»

«لقد كنت أنظف المنزل بنفسي. لقد كان بحالة فوضى عارمة.»

«يبدو أنك وضبت نفسك أيضاً؟»

«أجل. أفترض ذلك، لقد كنت أنا أيضاً في حالة فوضى.»

انتظر متوقعاً أن تتابع حديثها، لكنها لم تفعل. عندما كانت ترتشف الشاي، تذكرت نفسها عندما شربت الشاي المحلى في كينيا. وكان لوكاس يمازحها.

«جورج؟ هل تسمعينني؟» وأعادت نفسها للواقع.

«آسفة، يا أبي. لقد كنت بعيدة بضعة أميال، ماذا كنت تقول؟»

قال والدها مبتسماً: «لقد أحضر والتر النسخ معه. إنها رائعة وأخبرني كم ساعدت عندما كان لوكاس مريضاً، كان متأثراً جداً.»

www.liilas.com

«أقل شيء كان من الممكن فعله. وكيف حال لوكاس؟»

«بخير، كما علمت. إنه بعيد في مكان ما، على ما أظن. هل تريدين مزيداً من الشاي أيضاً.»

«لا شكراً والآن أخبرني ماذا فعلت لتنفذ فكرتي.»

نظر إليها والدها بإمعان ثم قال: «لقد تكلمت مع شخص أو اثنين، أعتقد أنهما على استعداد لتبني فكرتك وتنفيذها.»

ظلت جورج تجبر نفسها على الاستماع إليه، وبدأ حماسها يتضاءل تدريجياً، وفي الوقت الذي تركا فيه الريتز، قررت جورج أن تحول لوكاس إلى ذكرى خالدة في قلبها وحياتها

كان والدها قد دبّر لها مكتباً خاصاً، ولم تكن تراه دائماً، وفي بعض المناسبات كان يمدّ رأسه من الباب ليزف إليها نبأ سارا.

لقد مضى شهر على عودتها من كينيا، وبدأ يلمع نجم جورجيت باينبريدج في سماء دوكلاندس. فقد أصبحت إحدى أشهر سيدات الأعمال. وعادت إلى الظهور مجموعة كبيرة من رفاقها القدامى، ورحبت بهم جورج، لكنها وهبت كل وقتها إلى العمل في المشروع. فكل ما كانت تقدمه هو المواعظ الأخلاقية والشاي. ولم يبق معها إلا الذين اهتموا في بناء الملجأ.

«كيف تجري الأمور؟» نظرت جورج بسعادة إلى والدها عندما سمعت صوته.

«ببطء ولكني، أتمنى أن أحقق أهدافي، حسب التصميم الذي رسمته. فنحن نشجع اللاجئين أنفسهم على البناء، وبذلك سيكون لهم الفخر بالسكنى في هذه المساكن.»

«ممتاز. أنا مسرور لأن الأمور تسير كما تريدين.» وقال: «تعالي إلى أودني هذا الأسبوع. فأخواتك سيجلبن أولادهن.»

«أود ذلك، هل تستطيع أن تأخذني ليل الجمعة؟» ثم نظرت إلى رزمة كانت في يديه وسألته: «ما هذا؟»

«آه. هذا ما جئت من أجله، إنها الصور الأخيرة للتقويم. جئت لأريك إياها ربما تستطيعين أن تساعديني في الاختيار، لقد قال إن هناك بعض الصور التي أخذتها أنت أيضاً.»

«قال.»

«لوكاس. لقد أتى هذا الصباح، وجلب الصور.» وقبل أن تستوقفه، فتح الصندوق وبدأ يعرض الصور. «بعض الصور تبدو رائعة، ألا تعتقدين ذلك؟» جلست غاضبة، لا تحرك ساكناً، فكيف كان هنا، في المبنى نفسه ولم تره. لو كانت تعلم بقدومه لما كان شيئاً ليوقفها عن الطيران لرؤيته. لتتأكد من أنه على أحسن ما يرام. «جورج؟» وأعادها صوت والدها إلى الواقع. وسألها: «أي واحدة أخذت؟» التقطت الصور بحماس حين رأت تلك الصور التي أخذاها معاً.

«هذه.»

نظر والدها إليها باحترام: «آه، إنها رائعة، لقد التقطت شيئاً رائعاً في أعماق تلك الفتاة. عندما أصرّ لوكاس على أن يوضع اسمك على التقويم أيضاً اعتقدت أنه يقوم بذلك ليخفي نفسه، ولكن هذه الصور حسنة مثل كل الصور.»

تابعت جورج: «لقد أخذت هذه الصورة وقد وعدت والتر بأن لا يعلم أحدٌ شيئاً عنها.»

«جورج، على الرغم من أنني والدك، فقد تركت لك الحرية لاختيار حياتك، ومهما حصل بينك وبين لوكاس...»

«أبي...»

«لا تقولي بأن شيئاً لم يحدث. لقد كان لوكاس يقفز كالقطة

www.liilas.com

كلما كان الباب يفتح، كان يقفز من مكانه.» بدا والدها جاداً وأضاف: «أنت امرأة ناضجة وأنا أحترم حقك في كتمان خصوصياتك. ولكن لن أجعل أي مشكلة بين حبيبين تفسد أهم أعمالي، أعتقد أنني واضحٌ جداً معك، أليس كذلك؟»

لم يبق هناك أي مجال للاعتراض وقالت: «أجل، يا أبي.»

أوما وحمل الصندوق وسألها: «هل لي أن ألقي نظرة؟»

«بالطبع.» ففتحت واحدة وقربتها من الضوء. لتحميها من أشعة الشمس. ومررتها إلى والدها ورفع الصورة نحو مصدر الضوء. «السماوات رائعة.» ثم تناول صورة أخرى وقال: «لا بد أن هذه الصورة أخذت في حفلة المدرسة التي أخبرتني عنها. يا إلهي، هل هذه أنت؟» ضحك وحمل الصورة. لقد كانت جورج محاطة بمجموعة شبان. ثم نظرت إلى صورة أخرى، تجمعها بلوكاس، فأحست بالضعف عندما رأته يبتسم إلى احدى الفتيات. أخذ والدها الصورة منها وتفحصها باتجاه الضوء.

«أنا أحترم هذا الرجل. لقد أحسن التصرف مع اللاجئين.» وتابع السيد باينبريدج: «لقد قتل والداه في حادث سيارة في تشيكوسلوفاكيا، فأتى به جده إلى بريطانيا ورباه هنا. قصة محزنة.»

«لم أكن أعلم.»

«آه كدت أن أنسى إخبارك. لقد قال لي إنه سيتصل بك قريباً جداً بالنسبة لاتفاق أنت قمت به. وقال إنك ستفهمين.» وقعت الصور من يديها إلى الأرض. «جورج؟»

«نعم، يا أبي. لقد سمعت. وفهمت بوضوح.»

«حسناً. سأراك الجمعة إذن.»

شعرت جورج بالأمان في أودني، حيث كانت العائلة مجتمعة. كانت تجلس قرب المدفأة عندما رن جرس الهاتف، لم تكن تريد أن تجيب وتأففت ثم أجابت بصوت يخلو من الحماس.

«جورجيت باينبريدج.»

«مساء الخير، يا جورجيت.» ولدى سماع صوته انهارت وكادت أن ترمي السماعة.

«لوكاس.»

«تبدين مندهشة. ألم يعلمك والدك بأني سوف أتصل؟»

«أجل. لقد أخبرني. ولكن توقعت اتصالك من لندن.»

«لا، ليس هناك. فربما كنت منشغلة مع بوب، أو جون، أو تاتي، أو واحد من العديد الذين نسيت أسماءهم.»

«وكيف علمت أنني هنا؟» تجاهل سؤالها ولم يجب.

«لقد فكرت بأن الغد سيكون مناسباً، بما أنك قريبة.»

«قريبة؟»

«إنك اليوم تتفوهين بكلمة يا جورجيت. ليس من عادتك أن تكوني مقتضبة في الحديث.» وتجاهلت جورج ملاحظته هذه.

«كم قريبة؟»

«إن الاستديو في كوكهام.»

تمتمت: «كل هذا القرب؟»

«أجل.» سمعته يضحك وأضاف: «كل هذا القرب. اطلبي من والدك أن يوصلك وهو ذاهب في طريقه إلى المدينة في الصباح. فهو يعرف أين.»

«نعم.»

«ثم لا تنسي، يا جورج، اخلدي إلى النوم باكراً. لا أريد أن يظهر التعب عليك.»

www.liilas.com

«ماذا... أرتدي؟» وتلاشى صوتها عندما أدركت بأن الاتصال قد انقطع.

«من كان ذلك؟» نظر إليها والدها عندما عادت جورج.

«كان لوكاس. هل يمكنك أن توصلني صباحاً إلى الاستوديو؟ فقد قال بأنك تعرف المكان.»

«حسناً، كما ترغبين.» توقف للحظة ثم حين لاحظ بأن خدي جورج قد احمرا خجلاً، أضاف: «لقد اشترى الكوخ من دولي موتني السنة الماضية. لقد جعله من أهم الاستديوهات، مع أنني لم أذهب إلى هناك منذ فترة طويلة.»

«نعم. وأنا أعرف المكان. إنه مكان جميل.»

انتظر والدها لحظة ثم سألها: «هل ستبقين لفترة طويلة أو تفضلين أن أرسل هنري ليرجعك إلى البيت؟»

«كلا، لا تفعل ذلك. لا أعرف كم سأبقى هناك، سأعود بالقطار.» لم تعد جورج قادرة على تحمل هذا الفضول فقالت: «سأذهب لأرى إن كان الشاي قد أصبح جاهزاً. إيما؟ ماري؟ من تريد تحميص فطائر فوق النار؟» وأسرعت الفتاتان الصغيرتان للمساعدة وتبعتهما جورج إلى المطبخ.

ذهبت للنوم باكراً، ليست فقط لأن لوكاس أوصاها بذلك، ولكن لأنها لم تعد تحتمل الأحاديث المملة التي كان أخواتها وأزواجهن يحكونها.

كانت تريد أن تتهرب من نظرات والدها الذي كان يراقبها طوال السهرة. كان يدرك بأن هناك خطباً ما. لكنه كان ينتظرها أن تخبره. كان دائماً ينتظرها، وكانت تطلعه على جميع مشكلاتها. ولكن ليس هذه المرة. فهذه المرة لا يمكنه أن يفعل شيئاً ليحل مشكلاتها.

الفصل العاشر

ارتدت جورج ملابسها بعناية فائقة. استيقظت باكراً ومضت في نزهة صباحية لوّنت خديها على الرغم من أنها لم تنم جيداً، فقد استعادت نشاطها بعد أن استحمت ثم حوّلت انتباهها نحو ملابسها.

تحيرت كثيراً في اختيار ملابسها، فلبست تارة شيئاً ناعماً، وتارة أخرى بنطال جينز باهت اللون وابتسمت. ربما هذا ما يتوقعه.

كانت ذاهبة ليصورها رجل يحتقرها. كان قد انتزع منها وعداً بأن تعرض له مقابل بقائها في العمل. يجب عليها أن تدفن مشاعرها، وتخبئها كلياً، قد ينتزع منها أكثر مما ترغب بإعطائه لشخص لا يحبها.

وضعت لمسات خفيفة من المكياج. وبدت ملائمة لقضاء يوم في المكتب لأنها تنوي الذهاب إلى المكتب بعد أن تنتهي من التصوير. وبأصابع مرتجفة ارتدت قميصاً أبيض. وقالت لنفسها بحزم: تشجعي، يا جورج. ليس الأمر صعباً. إنه كالذهاب إلى طبيب الأسنان. وارتدت سترة زرقاء مخططة. ونظرت إلى نفسها في المرآة وكانت راضية عن النتيجة. ثم حملت حقيبتها وتوجهت للقاء والدها في غرفة الطعام.

رفع نظره إليها. «تبدين كما لو أنك عضو في لجنة مصرف انكلترا.»

نظرت إلى والدها وابتسمت وقالت: «حسناً.» ليس على

www.liilas.com

المرء أن يكون عبقرياً ليدرك كيف عرف لوكاس مكانها، عبر والدها بلا شك.

بعد نصف ساعة، كانت جورج تتمشى باتجاه باب الكوخ، متسلحة ببدلتها لتعطيها الشجاعة. أخذت نفساً عميقاً، ووضعت يدها على الجرس ولكن الباب فتح قبل أن ترن.

«جورجيت! أتيت؟» لقد اختفت أثار الرضوض فيه. لم يبق سوى جرح صغير يذكرها بأسوأ ليلة في حياتها.

«مرحباً. يا لوكاس. كيف حالك؟»

«لقد شفيت تماماً، شكراً.» ثم تفقدها بنظراته من الأسفل إلى الأعلى، وارتسمت ابتسامة على شفتيه وقال: «من الأفضل أن تدخلي.» ترددت قليلاً قبل أن تخطو إلى الداخل ثم سألها: «أترغبين بقليل من القهوة؟»

هزت رأسها بحزم وقالت: «لا، شكراً. لننتهي من هذا.»

اختفت ابتسامة لوكاس وقال: «في هذه الحالة من الأفضل أن تخلعي هذا الدرع الواقي عنك. سوف يزين ستيوارت وجهك وشعرك.» ثم فتح الباب المؤدي إلى غرفة ملابس صغيرة، ولكن لم تتحرك لتدخل. لقد كان بينهما اتفاق. ليس من المفروض أن يتواجد أحد غيرهما، ولكنه أخل بالاتفاق. لاحظ لوكاس ترددها. وقال معتذراً: «سيغادر حالما ينتهي فنحن باستطاعتنا أن نتدبر أمر مساحيق التجميل، أما بالنسبة لتصفيف الشعر فأنا لا أعرف شيئاً.»

«آنسة باينبريدج؟ ادخلي من فضلك. أنا ستيوارت.» خلع سترتها عنها وألبسها وشاحاً ضخماً. «ارتاحي. لن آخذ من وقتك كثيراً.» بدأ يمشط شعرها وأسدله على كتفيها وأضاف

على بعض الخصل من الجانبين شرائط خضراء رفيعة. وبعد ان انتهى ابتسم وقال: «ثوبك في الخزانة. سأغادر الآن. وداعاً.» غادر ستيوارت وسمعت صوت محرك السيارة.

لم تتحرك جورج وتساءلت: ثوب؟ أي نوع من الثياب اختار لها؟ ثم نظرت إلى نفسها بالمرآة وقالت: «أي ثوب، يا جورج، أفضل من لا شيء.» كانت تتوقع اللاشيء. ولكن ربما يتوقع منها أن تخلعه فيما بعد. وصرخت في صورتها المنعكسة في المرآة: «كفي الآن!» فتحت باب الخزانة ووقفت تتأمل الثوب المعلق بتعجب. كان ثوباً رائعاً. أبيض اللون، كمّاه طويلان ضيقان عند المرفق والرسغ ومزيناً بالمخمل الأخضر كالذي وضعته في شعرها. القبة منكورة ولكن غير كاشفة، وخصره مزموم ومزين بالمخمل الأخضر. وشعرت أنها تريد ارتداءه أكثر من أي شيء آخر. ارتدته ونظرت إلى المرآة، كم تبدل مظهرها.

«هل أنت جاهزة؟» دق على الباب.

«نعم، لا، لدي مشكلة مع الزر.» فتح الباب ثم توقف، وبدا وجهه كالحجر وأضاف: «ما الخطب؟»

هز رأسه ومشى ببطء نحوها وقالت: «لا شيء. على الاطلاق. لا أستطيع أن أصدق كم هو لائق.»

وقالت له: «لم يكن ما كنت أتوقع.»

«كلا. لأنك لم تسمحي لي قط أن أنهي ما كنت أقول.» ابتسامته جعلت دقات قلبها تتسارع. «ولكنك أتيت على كل حال. استديري وسأصلح لك أمر الزر.»

«أتيت لأننا اتفقنا.» لم يعد لوكاس كما عرفته في افريقيا، فهو يرتدي الآن ثياباً أنيقة وشعره مسرح وقصير. لم تعد

www.liilas.com

ربما www.liilas.com

متأكدة من أنها تعرفه. ثم أمسك يدها وقادها باتجاه الاستديو.

«أريدك أن تقفي هناك، حتى ينير الضوء الطبيعي، المنبعث عبر النافذة، وجهك.» وقطب ثم قال: «اجمدي مكانك.» واختفى ليعود بعد قليل مع بعض الزهور. إمسكيها الآن، سوف آخذ بعض الصور الفورية لك.»

«تعالي وانظري، يا جورج. ما رأيك؟» اقتربت واتكأت على الطاولة لتنظر إلى الصور.

«حسناً، أتريد الحقيقة؟»

فوجيء وقال: «بالطبع.»

«أعتقد أنني أبدو كالبلهاء.» صدم لوكاس عند سماعه كلامها. ثم حدق كلاهما بالآخر ومن دون أي إنذار، انفجر لوكاس ضاحكاً.

«آه، يا جورج، جورجيت حبيبتي، أنت لن تتغيري أبداً. لقد حولتك إلى أميرة ساحرة، وكل ما تستطيعين قوله هو أنك كالبلهاء.»

ابتعدت جورج عنه وهي جانعة وقالت: «ربما لأني أشعر بالراحة أكثر عندما أرتدي بنطال جينز. هذه ليست أنا.»

«وهل هذه أنت في تلك البدلة المخيفة.»

«هذه للعمل فقط. وإذا انتهيت الآن من تهكمك علي، أود أن أرحل لأنه مايزال أمامي نهار حافل بالعمل.»

«كلا. لم أنته. أنت وعدت أن تعرضي لي، وهكذا سيكون. وما يزال لدينا بعض الأعمال العالقة لنناقشها.»

سألت وهي ترتجف: «أعمال عالقة؟»

«إرجعي إلى مكانك.» وأضاف: «هل تستطيعين أن تحملي هذه الزهور بطريقة شاعرية أكثر. تبدين وكأنك سوف ترمين

بها فوق رأس أحد.» انحنى وبدأ ينظر إليها من آلة التصوير وقال: «لماذا هربت؟»

«أنا لم أهرب. لم يعد هناك أيّة ضرورة لوجودي. لقد أنقذت كل ما يمكنني من الفوضى وغادرت قبل أن أسبب المزيد من الأضرار.»

«أخبرني والدك، بأنك رفضت أن تنسب صورك لك.»

«هل تحدثت مع والدي ثانية؟» هزت كتفيها وأضافت: «أنت تعرف شعوري. لقد أسأت التقدير حين قبلت العمل في مثل ذلك المشروع. ولا أريد أن يرتبط اسمي به.»

«ولكنني أصر بأن تفعلي. لم تكن تلك صوري، يا جورج، وأنا أرفض أن تنسب لاسمي. يجب أن تلومي نفسك. فقد طلبت من والتر بأن لا يسمح لك بالتصوير. كنت أعرف مشاعري ومن الواضح أنك فضلت أن تقومي بدور المنقذ.» تابع لوكاس حديثه بينما كانت جورج تلوح بالزهور بتوتر. «بالاضافة إلى ذلك، فقد وجدت حلاً مناسباً.»

«بالطبع، هناك حل. قل إنك ستأخذها.»

هز برأسه وقال: «وأساعدك على الخروج من مأزق أنت المسؤولة عنه؟ أبداً. بالاضافة إلى ذلك، أعتقد أنك تبالغين في تقدير تقدمك لتحصلي على أتعاب خاصة في المرة التالية.»

«ماذا قلت؟»

لكنه تجاهل السؤال وعاد إلى عدسة آلة التصوير وقال: «استديري قليلاً إلى الشمال، هل فعلت؟ إرفعي ذقنك قليلاً.» ثم صوّرها لقطات مختلفة. سمعت صوت الآلة تتوقف واستدارت غاضبة، ولكنه كان يبتسم وذكرها ببعض كلامها ليلة الحادثة، عن عدم اهتمامها بكل الصور التي التقطها للفتيات الجميلات.

www.liilas.com

www.liilas.com ريما

كانت تتنفس بسرعة وسألته: «هل كنت واعياً ليلة الحادثة؟»

«كنت شبه واعٍ، افترض. سمعت بعضاً من كلامك. سمعتك تخبرينني عن صديقك السجين، ووعدت أن تخبريني كل شيء عن الباقين. ولكنك لم تعودي لتخبريني أي شيء.»

«أنت أمرت بأن يعود... الجميع إلى بيوتهم.»

شعر ببعض الضياع وقال: «لقد استغرقت يوماً إضافياً لأسترجع ذاكرتي. أشياء صغيرة بقيت تلوح في البعيد. في البداية اعتقدت أنني أحلم بها. ولكنني تذكرت قبلتك. لقد تذكرت جيداً. ابقي نظرتك كما هي.» ثم شغل الآلة من جديد. مشى نحوها وأمسك ذقنها بيده. وقال: «أنظري إلى هكذا دائماً.»

تأبط ذراعيها وقال: «ستفهمين دهشتي عندما سمعتك تقولين إنك «العذراء الأصلية» خصوصاً أنك فعلت المستحيل لتقنعيني أنك لست كذلك.»

احمرت خجلاً وسألته: «وهل ستفعل شيئاً إزاء ذلك؟»

«هذا المشروع مدوّن على مفكرتي ضمن أعمالي، يا حبيبتي.»

«أود الإطلاع على المفكرة.»

«لم أحضرها بعد، ولكنني سأجهزها سريعاً. هل هذا يعجبك؟»

«تماماً. ولكن يجب ألا تجعل الناس تتعلق بعناوين مبالغ فيها. لأن أمامك يوماً طويلاً من العمل؟»

وضعت ذراعيها حول عنقه وقالت: «أجل، من دون شك. اليوم الأكثر عملاً.»

تنهد تنهيدة صادرة من أعماق قلبه ثم حملها إلى الطابق العلوي.

عانقها برقة ثم نظر إليها وكانت عيناه تنطقان بكل الكلمات التي تحتاج أن تسمعها.

«أنت رائعة، يا جورجيت. ذكية. لطيفة. من النادر وجود كل ذلك في امرأة واحدة.»

«لقد نسيت أن تقول، غنية.»

«اللعنة على أموالك، فأنا لا آبه بها، ارميها جانباً.»

«آه، يا لوكاس، هذا ما كنت أحاول أن أقوم به.» ضحكت وتابعت قائلة: «هذا ما كنت أود فعله. ولكن هل نستطيع التكلم عن ذلك لاحقاً؟»

احتضنها وتلاشيا معاً وارتبطا ببعضهما في عالم الحب والأحلام. لقد قادها إلى عالم آخر، عالم تسمو فيه عن البشر. وبعد ذلك، عندما أدركت بأن لا شيء سيسعدها أكثر، فقدت سيطرتها، وسقطا معاً في بحرٍ عميق.

«ما الذي حصل لتلك الفتاة المتكبرة التي قادتني للجنون في كينيا؟»

«ما تزال في مكان ما. تحت سطح البحر. تبحث عن قبعة جديدة، ما كان يجب أن أتساءل. إنها تعتمد عليك لترشدها إلى شاطىء الأمان.»

ضحك بنعومة وقال: «وظيفة رائعة.»

تنفس بعمق وأمسك بيديها. وتركهما أسيرتين في قبضة يديه.

«ألم تحب ذلك؟»

«سأخبرك لاحقاً، يا حبيبتي. عندما أستعيد قوتي، ينبغي عليك أن تشرحي بعض الأمور لي.»

نظرت إليه بتأمل ثم ابتسمت وسألت: «ماذا تريد أن تعرف؟»

www.liilas.com

www.liilas.com ريما

«لقد عرفت كل شيء يتعلق ببوب، ولكن من هم، بحق اللّه، تاتي، جف، آلان وجاي؟»

ابتسمت وسألته «من أين عساي أن أبدأ؟»

«جف؟»

«جف عاطل عن العمل وهو من الشمال. قدم إلى لندن بحثاً عن عمل، وكان بحاجة لمأوى. فبعثته الفتاة في مركز التوظيف إلى مكتبي.»

ثم ابتسمت وأضافت: «متزوج وله ثلاثة أولاد. وقد ترك المنزل الآن. فقد وجد وظيفة وأتت عائلته للسكنى معه.»

«أنا مسرور لذلك. وتاتي؟ اسم غريب.»

«كان بحاجة للعمل، فأمنته له.»

همهم: «وماذا عن آلان وجاي؟»

بدت جورج جدية وقالت: «يجب أن أفعل شيئاً إزاء آلان. فهو في الرابعة عشرة من عمره، يعيش حياة قاسية وبدائية في إمبانكلمنت. كنت أقنعه في بعض الأحيان ليأتي للغداء والاستحمام، وفجأة كان يغفو على الكنبة.»

«سأرى إذا كان بإمكاني مساعدته، وجاي؟»

«نعم، جاي. هو مشكلتي الكبيرة. ولا أستطيع تركه. فهو يحتاج للرعاية وأنا وعدت أن أعتني به دائماً.»

«هل سيعيش معنا، إذن؟ عندما نتزوج؟ أتمنى أن لا يكون فضولياً.»

سمعت جورج الكلمات، ولكنها لم تستطع أن تصدق ما سمعته. «نتزوج؟»

جلس وتكلم بجدية: «أجل، أعرف أنها عادة وموضة قديمة، ولكنها ما تزال سائدة. وذلك عندما يقسم حبيبان على أن

يخلصا ويحبا بعضهما بعضاً إلى الأبد. بالاضافة إلى ذلك، فهناك قوة سحرية في تغيير اسم عائلة الأنثى لعائلة الرجل، وبهذا نحل المشكلة العالقة بشأن التقويم لأن كلانا يصبح من عائلة لوكاس، فلا أحد سيميز من منا أخذ تلك الصور.»

«هذا ليس سبباً كافياً للزواج، يا لوكاس.» قطبت وأضافت: «أليس لك اسم آخر، لا يمكن أن يكون لوكاس فقط.»

«لم يكن قد بقي علي قيد الحياة سوى جدي عندما كنت صغيراً، أطلق علي اسماً ولكنه ما لبث أن توفي.»

«أنا آسفة. لقد أخبرني والدي، عما... حدث لعائلتك. لقد فهمت ما قصدته عن المثل...»

عانقها بنعومة وقال: «إنه كارل، كارل الذي كان عمره ٩ سنوات وكان يذهب إلى مدرسة لندن سيراً على الأقدام. من الأفضل نسيان الموضوع.»

«لكن هذا محزن حقاً للغاية.» تمتمت جورج وحاولت أن تلفظ الاسم: «كارل.»

ابتسم لوكاس وقال لها: «لا آبه كيف تناديننني، فقط قولي إنك ستتزوجين مني.»

تنهدت وقالت: «لكن جاي... هل أنت متأكد بأنك ستمنحه منزلاً؟»

«جورجيت، لقد عرفتك منذ فترة وجيزة، ولكنني واثق بأنك نزيهة وأمينة، وعندما تقطعين وعداً فيجب أن تفي به.»

نظرت إليه بدهشة وقالت: «أنت تعني ذلك حقاً، أليس كذلك؟ ستؤي مشردين على الطرق؟»

«إذا كنت جزءاً من الاتفاق. لقد اكتشفت بسرعة، يا حياتي،

www.liilas.com

فاننا لا أستطيع أن أحيا من دونك. طالما أن الحياة معك سيكون فيها مسرات وأحزان.»

همست قائلة: «هل أمضيت شهراً بكامله لتقرر ذلك؟»

«آه، لا. لقد شعرت بذلك، منذ أول مرة قابلتك فيها. لم يكن هناك شك بهذا الموضوع، ولكن كان لدي بعض الارتباطات في العمل. لقد ذهبنا أنا ومايكل إلى السودان لأخذ بعض الصور لمنظمة اتحاد غوث الأولاد.»

«لوكاس!»

«هل قبلت عرضي؟ أو ترغبين أن أركع أمامك؟»

قالت له: «لقد أغريتني، يا لوكاس.» ثم انفجرت ضاحكة.

«هذا هراء! أليس لديك حس رومانسي؟» امسك يدها وانحنى امامها.

«آنسة جورجيت باينبريدج، هل تمنحيني الشرف في الزواج منك؟»

قهقهت: «عد إلى الفراش، قبل أن يلفحك الهواء.»

«أخرجيني من هذه المأساة أولاً.»

«أجل، أجل، أجل! آه، يا لوكاس. أحبك كثيراً. أحبك إلى الأبد، وسنبقى معاً إلى الأبد.»

«سيداتي وسادتي، إنه لمن دواعي سروري أن أكون هنا بينكم لأفتتح رسمياً الملجأ الذي منحته ابنتي كثيراً من وقتها وجهدها في الأشهر الماضية. عندما أخبرتني في بادىء الأمر عن مشروعها عارضتها ووقفت بوجهها، وبعثتها إلى إفريقيا جزاءً لها، ولرأيها. وبرهنت عن قدرة وجلد مما اضطراني لتغيير رأيي والاقتناع برأيها. وها هي الآن تمثل

أمامكم، هي وزوجها وربما أطفالهما القادمون على الطريق. أطلق رئيس دائرة شؤون المحتاجين اسماً على هذا المركز: مركز دوكلاندس للمحتاجين. ولكن الجميع عرفه على أنه "مركز جورج" لقد بذلتم جميعاً جهداً عظيماً وحماساً ليبصر المشروع النور، أتمنى أن يكون مأوىً لكثير من الناس ويمنحهم مستقبلاً أفضل.» ثم نظر حوله وقال: «ألم يحن الوقت بعد، للاحتفال بالمشروع؟»

كانت الحفلة صاخبة ومليئة بالناس ولم يلحظ أحد أن جورج ولوكاس قد غادرا.

«هل أنت مسرورة، يا جورجيت؟»

«نعم.» ثم فكرت قليلاً وأضافت: «كنت فقط أتساءل. لقد سكن آلان وجف معاً، والآن يجب علينا فعل شيء للأطفال الباقين.»

وضعت يدها على بطنها. «ما هو رأيك؟»

توقف لوكاس واستدار «هذا هو الأمر، أليس كذلك؟» ثم قبل زوجته قبلة هادئة وقال: «سنبقى معاً إلى الأبد...»

تمت

www.liilas.com ريما